

مستقبل العلاقة بين الاتجاهين الديني واللا ديني في الفكر السياسي الأمريكي

(أ.م.و. اسعد عبر الوهاب عبر الكريم)^(*) (الباحث سرمد محمد خلف)^(**)

الملخص

لعبت المعتقدات البيورثانية الكالفينية دوراً كبيراً في تماسك المجتمع الأمريكي وتوحيده، وإن الآباء المؤسسين كانوا على يقين بأنهم مكلفون بتنفيذ رسالة تبشيرية ذات طبيعة توسعية، وأن الولايات المتحدة هي أمة لا دينية يسكنها أناس متدينون في معظمهم، وقد وجدوا لهم موطناً يمارسون فيه عقيدتهم، وأن أغلب السياسيين والرؤساء قد وجهوا الدين نحو تحقيق رغباتهم السياسية، لذلك فإن الدين في الولايات المتحدة لا يمثل عائقاً أمام التوجهات السياسية، بل على العكس نلاحظه في أغلب الأحيان يكون أداة لحل الكثير من المشاكل على الصعيدين الشخصي والعام، فضلاً عما قاله الكثير من المفكرين "الأداة المهمة التي وحدت الأمة الأمريكية".

Abstract

Calvinist liberal beliefs played a major role in the cohesion and unification of American society, and the founding fathers were convinced that they were entrusted with a missionary mission of an expansionist nature, and that the United States was a non-religious nation inhabited by mostly religious people and found a home for practicing their faith, Politicians and presidents have directed religion toward their political desires. Therefore, religion in the

(*) كلية العلوم السياسية/ جامعة تكريت.

(**) ماجستير علوم سياسية.

United States is not an obstacle to political orientation. On the contrary, it is often seen as a tool for solving many personal and public problems, He also said many of the thinkers "important tool that united the American nation".

المقدمة

رغم الاعتراف بفصل الدين عن الدولة، فإن هذا الفصل لم يؤدّ الى فصل الدين عن الدولة، كما ان تأثير الدين في الحياة الامريكية بدأ بالمجتمع المدني وانتهى الى العمل السياسي من خلال الحزب الجمهوري، لذلك لعبت الكنيسة طوال التاريخ الامريكي دوراً في السياسة الامريكية واعطت لطريقه الحياة في الولايات المتحدة ولنظامها صفات مقدسة.

ان الدين في الولايات المتحدة الامريكية يمثل عنصراً اساسياً من عناصر خصوصية المجتمع الامريكي، حيث يُعد ذلك الفصل واحداً من اهم القضايا في المجتمع عبر مختلف مراحل تطوره المختلفة، ورغم ان الدستور الامريكي والتعديلات المختلفة التي طرأت عليه تؤكد على العلمانية وفصل الدين عن الدولة، إلا أنّ حياة المجتمع ما زالت تخضع لنظام من القيم تتفاعل بينها مسافات اجتماعية واتجاهات مذهبية وفكرية غريبة، فالمجتمع الامريكي هو:

- ١ - مجتمع من المهاجرين تختلف أصولهم العرقية والدينية اختلافاً بيناً.
- ٢ - مجتمع حديث النشأة يفتقر الى العمق التاريخي بأعبائه ومزايه.
- ٣ - مجتمع غير محدد الهوية من المنظور الحضاري، صحيح انه خرج من رحم اوربا، بكل تناقضاتها وتنوع روافدها وفروعها لكنه لم يندمج مع اصحاب الارض الأصليين، وبعد ان تمكن من استئصالهم، واستقرت له الامور خاض ضد الوطن (الام) حرب تحرير واستقلال بحثاً عن مستقبل خاص به.

هدف البحث

تهدف الدراسة الى تبيان مستقبل العلاقة بين الاتجاهين الديني واللا ديني في الفكر السياسي الامريكي، وكيف يؤثر بعضهما البعض الآخر، ومديات العلاقة بينهما، على المستويين الداخلي والخارجي.

اشكالية البحث

تطلق الدراسة من إشكالية مفادها: هل الاتجاه اللاديني في الولايات المتحدة الامريكية قد حيد الدين بشكل تام عن السياسة؟ ام ان الدين لا يزال يلعب دوراً مهماً في تلك السياسة؟ هل التوظيف اللاديني للدين لا زال يلعب دوراً خطراً في توجهات السياسة الامريكية.

فرضية البحث

تتمثل الفرضية بوصفها ذات طبيعة قيمية معيارية بالتناقض الجاد بين ادعاء الولايات المتحدة الامريكية بأنها دولة علمانية لا تقرر تأثير الدين في السياسة وفي نفس الوقت توظف الدين توظيفاً سياسياً واضح المعالم.

منهجية البحث

بغية إثبات الفرضية فقد تم الاعتماد على المناهج الاتية: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستشراقي، لتبيان مستقبل العلاقة بين الاتجاهين الديني واللا ديني.

هيكلية البحث

وفقاً لإشكالية البحث وفرضيته، تم تقسيم البحث الى مطلبين وهي كالاتي:
المطلب الاول: المشاهد المستقبلية للاتجاه الديني في الولايات المتحدة الامريكية.
المطلب الثاني: المشاهد المستقبلية للاتجاه اللاديني في الولايات المتحدة الامريكية.
المطلب الأول: المشاهد المستقبلية للاتجاه الديني في الولايات المتحدة الامريكية

لعبت المعتقدات الدينية والقيم السياسية دوراً مهماً في رسم الملامح الثقافية للشخصية الأمريكية ، فالعهد الإلهي والخطة الإلهية والقدر المبين، مفاهيم ترسخت في الثقافة العامة وجعلت الأمة الأمريكية المبشرة وصاحبة الرسالة الإلهية للعالم فأصبحت الحامي الوحيد للحرية والديمقراطية، مما أعطاهم الحق باستخدام القوة ضد من يقف بوجهها أو يهدد القيم الأمريكية.

حيث تمثل مستقبل الاتجاه الديني في (سيناريو (معركة هرمجدون) ، فضلاً عن الأصولية المسيحية ويمينها المتصهين، ومشاهدتهم المستقبلية فيما يخص نهاية العالم.

المشهد الاول: مشهد الصراع (معركة هرمجدون)

تحتل فكرة عودة المسيح الى الارض في نظرية (هرمجدون) (Armageddon) مكاناً رئيساً في الفكر الاصولي المسيحي، وتقوم هذه الفكرة على اساس: أن المسيح سيعود الى الارض ثانية قبل بداية الالفية الثالثة للميلاد ليقيم مملكة الله على الارض التي ستدوم الف عام، حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس^(١).

ومن الامثلة على هذا المشهد للجماعات الدينية، ظاهرة الانتحار الجماعي التي جرت في (سنتافيا) بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة عام ١٩٩٧ ، ويمكن القول انها ظاهرة قليلة الحدوث، ففي تسجيلات الفيديو الخاصة بالجماعة التي تطلق على نفسها اسم (بوابة السماء) وردت العبارة الآتية: "لقد حان الوقت للموت في سبيل الله، وسواء كنا نحب ذلك او نكرهه فإن هرمجدون (ام المعارك المقدسة) قد بدأت وهي لن تتوقف حتى تحرق كل الارض من تحتها"^(٢).

(١) Hassan Haddad and Donald Wanger, All in the name of bible. ISBN, AMANA Book: st. mapleafpress, 1986, 17.

(٢) محمد السماك، الاستغلال الديني في الصراع السياسي، ط ١ (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٠)، ص ٦٥.

يقول اتباع هذه النظرية ان تفاصيلها موجودة في التوراة وانها على وشك الحدوث، بسبب اعادة ميلاد إسرائيل في العام ١٩٤٨ وإعادة توحيد القدس في عام ١٩٦٧، ومن هؤلاء السيناتور الديمقراطي من ولاية الاباما (هوارد هيلفن) الذي قال: "ان حدث هرمجدون قد ورد في محادثة للرئيس ريغان معه في ٢٨/ تشرين الاول/ ١٩٨١" و اضاف: "ان الرئيس ريغان يعتقد بأن السوفيات سوف يتورطون في مسألة هرمجدون"، كما وقد ردد الرئيس ريغان هذه النظرية المخيفة في عدة مناسبات الى قيام البيت الابيض بإصدار بيان في تشرين الاول/ ١٩٨٤ يشير فيه: "على الرغم من اعتقاد ريغان ب(هرمجدون) فذلك لن يعيق اقتناعه الجازم بالسلام، ورغبته في البحث عن اتفاق للتحكم في الاسلحة النووية"^(١).

وان هذه النظرية التي يؤمن بها رئيس اقوى وأغنى دولة في العالم مثلما تؤمن بها بعض الحركة المسيحية: "ان العصر الحالي محكوم بالشیطان، وان الوقت قد اقترب عند نهاية العالم حينما تغزو جيوش السوفيات وايران والعرب والصين والافارقة دولة إسرائيل، وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية، وسيموت الملايين من الاسرائيليين، اما ما تبقى منهم فإنه سيتم انقاذه لكي يقبل يسوع كمسيح له"^(٢).

ان عقيدة هرمجدون مترسخة في عقلية وذهنية القس جيري فالويل الذي دفعه إلى القول: "وهكذا ترون ان هرمجدون حقيقة، أنها حقيقة مركبة ولكن نشكر الله لأنها ستكون نهاية العالم، لأنه بعد ذلك سيكون المسرح معداً، لتقديم الملك الرب المسيح بقوة وعظمة، ان كل المبشرين بالكتاب المقدس يتوقعون العودة

(١) نقلاً عن: يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني، ط ٤، (بيروت:

مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥)، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

الحنمية للإله، وأنا نفسي اصدق بأننا جزء من جيل النهاية الذي لن يغادر قبل ان يأتي المسيح"^(١).

ان السؤال الذي يُطرح امام هذا الفكر الذي يؤمن به المسيحيون الاصوليون، هو في كيفية الاقتناع بجدية مسعى هذه القوة العظمى نحو السلام العالمي او حتى الجزئي في الشرق الاوسط طالما أنها تؤمن بأن الله نفسه يخطط لهذه النهاية النووية لهذا العالم حسب نظرية هرمجدون، ومن المعروف ان نصوص نبوءة هرمجدون المزعومة، لا تشير الى اي دور للأمريكيين في هذه المعركة، ويعترف بذلك اصحاب هذه النظرية واتباعها، لكنهم يقولون ان "الولايات المتحدة الامريكية ستبقى حصن الأمان للمسيحيين بعد انتهاء الحقبة"^(٢).

واذا ما تركنا الرئيس الامريكي وتياره المحافظ اليميني والحركة المسيحية الاصولية المؤمنة بأسطورة هرمجدون، وتساءلنا عما اذا كان هذا الفكر اللاهوتي قد تسرب الى عقول العسكرية الامريكية، ورجال حربها ممن يقبض بأصابعه على مفاتيح وازرار اضخم مخزون ذري واسلحة الكترونية واسلحة اعصاب واسلحة جرثومية عرفها التاريخ، سنكتشف احد كبير المؤمنين والمبشرين بهرمجدون منذ اكثر من عقدين، يدعى الى البنتاغون (وزارة الدفاع الامريكية)، بين حين وآخر ليلقي محاضرات على كبار قادة الجيش الامريكي، والمحاضر هو (هول لندسي) معروف في وسط الحركة المسيحية الاصولية، صاحب الكتاب الشهير (كوكب الارض العظيم الراحل) الصادر عام ١٩٧٠، والذي يقول: "نحن الجيل الذي سيرى هرمجدون وان

(١) نقلاً عن: خالد عبد الواحد، نهاية اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية، من؟ ومتى؟ وكيف؟، ط ٤، ٢٠٠٢، ص ١٩٢، متاح على الرابط:

<<http://www.kaliwid.jeeran.com/index.htm>>. (٢٠١٧/٩/١١)

(٢) يوسف الحسن، البعد الديني، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.

اهم علامات الحجيء الثاني للمسيح ومعركة هرمجدون التي تحدد معظم التفسيرات مكانها في جبل مجدو في فلسطين- هي قيام إسرائيل واحتلالها القدس^(١). وبناءً على ما تقدم، يواجهنا السؤال الآتي: ما هي نظرية هرمجدون على وفق رؤى الاصولية المسيحية؟

أنّ نظرية هرمجدون المقدسة او ما يطلق عليها (المعركة الاخيرة) التي تعلن قرب نهاية العالم بنشوب حرب عالمية ذات طابع ذري تقع بين اسرائيل واعدائها المتربصين بها: كروسيا وايران، والعرب المسلمين والافارقة، وخلال هذه الحرب سيقضى على ملايين من الاسرائيليين، والمتبقي منهم، فسيتم حسب زعمهم رفعهم ليتم توحيدهم مع المسيحيين، أي يصبحوا مسيحيين^(٢).

ويكمن الوجه الآخر لخطورة هذه العقيدة الهرمجدونية في أنها لا تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا فقط، وإنما تحاول الانتشار في الدول العربية أيضاً، حيث هنالك العديد من المنظمات الدينية المسيحية منها ما هو سري، ومنها ما هو علني تروج لهذه المعتقدات، ومن ابرز هذه المنظمات، والتي تعمل في مصر وبعض الدول العربية: هي (منظمة المعسكر الصليبي للمسيح، هيئة البحارة، منظمة الرؤية العالمية، هيئة المشاة " الصفوف الأمامية "، كنيسة المسيح ببوسطن "جماعة محسن حبيب، منظمة شباب له رسالة"^(٣).

هنالك الكثير من القساوسة والمفكرين الدينيين ممن وضعوا سيناريوهات لنهاية العالم على وفق نظرية هيرمجدون، ومن اهم القساوسة:

١. القس هول ليندسي :

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .

(٢) هشام آل قطيط، هرمجدون والصهيونية المسيحية، ط ١ (بيروت: دار الخبة البيضاء ، ٢٠٠٣)، ص ٤٠ .

(٣) بشار شريعت، النبوءة التي تحكم امريكا الاصولية الانجيلية والمعركة الكبرى، بحث مقدم الى اللجنة العالمية لنصرة خاتم الانبياء في مؤتمرها الاول، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢. ص ٤ .

وملخص هذه النبوءة الذي جاء في كتابه (آخر أعظم كرة أرضية) وينص سيناريو (هرمجدون): "بعد قيام الكيان الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ أخذت الاصولية المسيحية تنظر الى اسرائيل كحدث وشارة تؤكد معتقداتها اللاهوتية، وأصبح المؤمن بهذه المعتقدات يرى في دعم وتشبيد دولة اسرائيل تعجيلاً وتسريعاً ليوم الخلاص بعودة المسيح".

ويفترض القس ليندسي في السيناريو: "بأن تتوحد اوروبا الغربية، وأن تشق اوروبا الموحدة عصا الطاعة على الولايات المتحدة الامريكية، وان تقع مجاهدة امريكية (انجيلية) اوربية (كاثوليكية) في الشرق الاوسط بحيث يقف الكاثوليك، وكذلك الارثوذكس الى جانب المسلمين ضد المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح من الانجيليين، وان الروس الذين يمثلون (أجوج ومأجوج) يشاركون في المعركة ضد الانجيليين مما يفسر عن توريط العالم في معركة يرتفع فيها الدم الى مستوى الجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل"^(١).

إلا ان ليندسي لم يقف عند هذا الحد، حيث يقول: "قبل أن يصبح اليهود امة لم يكشف عن شيء، اما الآن وقد حدث ذلك، فقد بدأ العد العكسي لحدوث المؤشرات التي تتعلق بجميع انواع التنبؤات، واستناداً الى التنبؤات، فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الاوسط، وخاصة على اسرائيل في الايام الاخيرة، وان كل الامم سوف تضطرب، وسوف تصبح متورطة بما يجري هناك، وان باستطاعتنا الآن ان نرى: ان ذلك يتطور في الوقت، ويأخذ مكانه الصحيح في مجرى التنبؤات تماماً كما تأخذ الأحداث اليومية مواقعها في الصحف اليومية"^(٢).

(١) نقلاً عن: منصور عبد الحكيم، من يحكم العالم سراً؟ اصابع خفية تقود العالم، ج ١، (بيروت: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص ٤.

(٢) محمد السماك، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦.

وبضيف ليندسي قائلاً: "عندما تصل الحرب الكبرى الى هذا المستوى بحيث يكون كل شخص تقريباً قد قتل، تخين ساعة اللحظة العظيمة، فينقذ المسيح الانسانية من الاندثار التام، وفي هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح الى المسيحية"، ويحسم ليندسي هذا السيناريو لنهاية العالم، بقوله: "سيبقى ١٤٤ الف يهودي على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون، وسينحني كل واحد منهم، الرجل والمرأة والطفل قباله المسيح، وكمتهولين إلى المسيحية، فإن كل الناضجين سوف يبدأون التبشير ببشارة المسيح"^(١).

٢. القس بات روبرتسون:

لا يختلف القس روبرتسون عن غيره في رسم سيناريو هرمجدون إلا في شيء واحد، وهو انه لا يجب ألا ينتظر المسيحيون حتى نهاية التاريخ ليتسلموا الحكم، بل عليهم ان يبدأوا في الوقت الحاضر السيطرة السياسية، وهو بذلك يقترب من الاعتقاد ما بعد الألفي الذي يعتقده المسيحيون المتصهيون الذين يؤمنون بضرورة الإطاحة بالنظام الاجتماعي والسياسي القائم ليحل محله نظام إلهي يقوم على قوانين الكتاب المقدس^(٢).

وبدأت الأصولية المسيحية العمل على ذلك وفق مرحلتين: في المرحلة الأولى : بدأت "تنصير أمريكا من تحت، "أي بإعادتها إلى الأخلاق المسيحية التقليدية بالمطالبة بمنع الإجهاض، وتحريم المثلية الجنسية، والسماح بالصلاة في المدارس وفي الثانية بدأت "التنصير من فوق"، أي على مستوى انتخاب الرئيس، والمناصب العليا في الدولة. ويعتقد بأن اقامة حكومة عالمية ستؤسس ديانة عالمية،

(١) نقلاً عن: غريس هالسل، النبوة والسياسة، ط ٤، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٩.

(٢) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط ١ (القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠١)، ص ٢٢٢-٢٢٣.

وسيكون لها قانون وجيش عالمي، إذ يقول روبرتسون: "إن الكتاب المقدس هو الذي يعد بتلك الحكومة العالمية التي ستقضي على كل أعداء إسرائيل"^(١).

ويتنبأ روبرتسون بأن قوى النظام العالمي الجديد ستوحد مرة أخرى في بابل، بقوله: "من موقع برج بابل، حيث تبلبلت الألسنة، وتفرقت كل أمم الأرض ها هي الأمم تعود من جديد، وتدخل في حلف عسكري واحد، وها هي كما تقول النبوءات العبرانية تشكل نظاماً عالمياً جديداً للدفاع عن إسرائيل، والانتقام من بابل بقصفها من السماء؛ لأنها هي التي عذبت شعب الله وأغرقت بالدموع والاحزان"^(٢). إذن فالحرب العالمية الثالثة عندهم ليست مجرد أمل ينتظر، وإنما هي قدر لا بد من الرضى به، والاستعداد له، والسعي لتحقيقه على أرض الواقع. أما ما يسمى بـ (المساعي الدولية للتعايش السلمي)، فإنها في نظر الإنجيليين ضرب من تحدي الإرادة الإلهية.

الجماعات الدينية المؤمنة بنظرية (هرمجدون):

أخذت ظاهرة الجماعات الدينية المتطرفة في أمريكا تتوسع وتزداد أعدادها بصورة كبيرة منذ سبعينيات القرن المنصرم، علماً أن هذه الظاهرة قديمة ارتبطت مع مجيء المهاجرين الأوائل، حيث أصبح الدعاة ينتشرون في المطارات ومحطات الباص والقطارات والجمعات التجارية، وتدعو إلى الانضمام إليها، وتقديم التبرعات لها، كما يتلقى عشرات الملايين من الأمريكيين في بريدهم بين وقت وآخر مطبوعات

(١) نقلاً عن: منير العكش، تلمود العم سام - الاساطير العبرية التي تأسست عليه أمريكا، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٤)، ص ٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

ومنشورات هذه الجماعات، كما تُنظم المهرجانات والمؤتمرات الحاشدة سنوياً ودورياً^(١). ومن أهم الجماعات المسيحية المتطرفة هي:

جماعة (مدينة الوهيم): ظهرت هذه الجماعة في تسعينيات القرن المنصرم وهي مدينة تقع بالقرب من مدينة (أركنساس)، حيث يعمل بها مجموعة من السكان المدججين بالسلاح منتظرين وقوع عدد من الكوارث التي يعتقدون بأنها سوف تضع نهاية للتاريخ الانساني، وفي عام ١٩٩٥ قامت هذه الجماعة، والتي يتزعمها (تيموثي ماكفي) بتفجير مبنى الاجهزة الفيدرالية، والمعروف باسم مبنى (الفريدمار)، وهو الانفجار الذي راح ضحيته (١٦٥) شخص بينهم عدد من الاطفال تركهم أهاليهم من موظفي المبنى في دار حضانة تابعة للدولة^(٢).

وكان لهذا الحادث اثره الكبير واصداؤه الواسعة وذلك لسببين رئيسيين هما: الاول: انه كشف عن مدى انتشار الجماعات الدينية المتطرفة في انحاء امريكا، وبخاصة في مناطق السهول الوسطى. والسبب الثاني: انه أعاد الى الأذهان مسألة كراهية قطاع كبير من الأمريكيين للحكومة الفيدرالية وما تمثله رغم السياسات اليمينية، وبخاصة النقدية التي انتهجها الجمهوريون في عهدي ريغان وبوش الابن.

جماعة هوتاري: ظهرت مجموعة مسيحية مسلحة في عام ٢٠٠٨ كانوا يخططون لمقاومة الحكومة الامريكية بقوة، ووضعت تلك المجموعة اليمينية المتطرفة التي كان يتزعمها (ديفيد بريان ستون) المعروف بـ (كابتن هوتاري)، خطة لقتل رجال الشرطة، واستهداف اكبر عدد ممكن منهم في أثناء مراسيم تشييع زملائهم الذين

(١) نجيب الخنيزي، الاصولية الامريكية- التداخل بين الايديولوجي والسياسي، صحيفة عكاظ السعودية، العدد (١٩٤١)، (الرياض: اكتوبر ٢٠٠٦)، ص ٤.

(٢) نجيب الخنيزي، الاصولية الامريكية- الجذور والمكونات، صحيفة عكاظ السعودية، العدد (١٩٣٨)، (الرياض: اكتوبر ٢٠٠٦)، ص ٥.

قتلوا في هجوم سابق، بيد ان الشرطة الامريكية نجحت بإحباط المخطط قبل وقوعه، وحيازة الاسلحة النارية لأفراد المجموعة المتطرفة^(١).

فإن لهذه الجماعة المسيحية المتطرفة موقع الالكتروني خاص بها تنصدها آية من (إنجيل يوحنا)، ويشير الموقع الى ان كلمة هوتاري تعني (المقاتل المسيحي) ويرتدون زياً مشابهاً لزي الجيش الامريكي، ويبرز الفيلم مسلحين مدججين بالذخيرة، رافعين الراية الخاصة بهم بدلاً من علم الامم المتحدة، وذلك بعد أداء رمزي لعملية قتل جنود يرتدون الخوذات الزرقاء التابعة للقوات الدولية، إعلاناً لرفضهم أي نظام عالمي غير نظامهم، ويعتقدون بأنهم يقاومون قوى الشر وإبليس، ويدافعون عن بقية الامريكيين، وأنهم يستعدون لنهاية العالم ومحبي السيد المسيح)، وتصف هذه الجماعة نفسها على انها (جماعة الجهاد الامريكي الجديد). وتركز ايديولوجيتها في نظرية المؤامرة ومعاداة الحكومة، والى جانب تكفيرها للإدارة الامريكية، وتسعى للتآمر ضدها باسم (الاستعداد لعودة المسيح، ونهاية الكون)، وتتركز جغرافياً في الوسط الامريكي وبعض الولايات الغربية ويتبنى افكاراً تؤمن بتكفير الحكومة، والقتال ضد أذرعها، ممثلة في افراد الشرطة، وتحذر من قرب نزول المسيح الدجال^(٢).

وهذه الجماعة هي في الحقيقة من الجماعات الامريكية المتطرفة البيضاء العنصرية التي تعارض وجود أي عرق آخر في الحكم، نفذت في السابق عدة محاولات لاغتيال الرئيس الامريكي السابق (باراك اوباما)، وذلك بعد اعتقادها بأن الحكومة الامريكية هي حكومة (المسيح الدجال)، ولعل إعلان جهاز أمن الرئيس الامريكي باراك اوباما، في حزيران من العام ٢٠٠٩، عن اعتقال رجل ابيض في

(١) ينظر: ملفات ساخنة، كابتن هوتاري ... قصة ميليشيا مسيحية تهدد عرش اوباما، على الموقع:

<<http://www.j.ordanzed.com/jov/index>> (٢٠١٧/٩/٢٠).

(٢) المصدر نفسه .

ولاية (نيفادا) هدد علناً بقتل اوباما وهذا ما يؤكد حجم الخطر الذي بات يتهدد امريكا من الداخل^(١).

حافظو العهد: تعد من اخطر المجموعات الناشطة حالياً التي أنشأها الحامي (ستيوارت رودز)، في نيسان من العام ٢٠٠٩م، كنتيجة مباشرة لوصول باراك اوباما الى السلطة، ويؤمنون بأن الحكومة غير شرعية مع وجود رئيس غير شرعي على رأسها ولد في دولة اجنبية، وتكمن خطورتها في ان غالبيتها العظمى من عناصر في الجيش الامريكي والشرطة الى جانب قدامى هاتين المؤسستين، وفي كل احتفال تقيم هذه المجموعة يُقسم أعضاؤها يمين الولاء للخدمة في مؤسساتهم الأمنية وحماية الدستور، ويضيفون عليه قسماً آخر بعدم إطاعة الأوامر غير الدستورية من الحكومة الطاغية، ويعمل عناصر المجموعة في وحداتهم في الجيش على تجنيد زملائهم على قاعدة ان الحكومة انقلبت على مواطنيها، وتقوم المجموعة بشراء الاسلحة واخفائها، وتخطط للتحرك حين يحين موعد (القانون العرفي)^(٢).

ويبدو ان هذا النوع من الجماعات الدينية المتطرفة ميلاً الى اللجوء للعنف، وبدرجة كبيرة، إذن فإن مستقبل الأصولية المسيحية في الفكر السياسي الأمريكي يندرج على وفق سيناريو (هرمجدون) الذي أخذ يعلن عن نفسه في كل مرحلة، وفي كل زمان معتمداً على التفسيرات الحديثة للتوراة والإنجيل مع الأخذ بالأحداث والاطار التي تواجه إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فهما يمثلان الترابط العضوي والقيمة العليا للأصولية المسيحية من أجل تحقيق العودة الثانية للمسيح عن طريق هذا السيناريو.

(١) كابتن هوتاري ، مصدر سبق ذكره.

(٢) ديماء شريف، طفرة التطرف المسيحي: امريكا الى اقصى اليمين، صحيفة الاخبار المصرية، العدد (١٨٥٥)، القاهرة: ٢٠٠٩/٦/٦، ص ٤.

وفي ختام هذا المشهد نرى: أن فكرة هرمجدون تحتل مكاناً مهماً في الفكر الاصولي المسيحي، وان الايمان بهذه الفكرة التي تقوم على الصراع يعني تعطيل مساعي السلام العالمي، مما يؤدي الى دفع الامور نحو الاضطراب والعداء، ورأينا ان هذه العقيدة مترسخة في ذهن الكثير من الرؤساء والقساوسة، فضلاً عن ان جزء كبير من الشعب الامريكي يؤمن بالنهاية الحتمية للعالم عن طريق هذه النظرية، لتكون مقدمة لظهور المسيح).

المشهد الثاني: صعود الاصولية المسيحية (اليمن المسيحي المتصهين)
ان التطرق الى مستقبل الاصولية المسيحية في أمريكا يدفعنا الى طرح التساؤل الآتي: ما هو مقدار التحول الذي أحدثه ترايد نفوذ الانجيليين المحافظين في امريكا، وهل ادى ذلك الى تقدم امريكا على طريق استعادة هويتها المسيحية؟ وما هو مستقبلهم على الصعيد الديني؟.

ان الدين في الولايات المتحدة في اكثر اعتباراته هو دين توراتي، وضعت شروحه في قوالب عبرانية، وان الفرضية الاساسية للصهيونية المترسخة في النظرة المسيحية الاصولية تقوم على قانون لاهوتي توراتي يتلخص كما يلي^(١):

- كل مسيحي مخلص يجب ان يؤمن بالعودة الثانية للمسيح.
- ان قيام دولة اسرائيل واستيلائها على مدينة القدس هما اشارة إلهية تشير الى ان العودة الثانية للمسيح على وشك الحدوث.
- كل دعم مادي ومعنوي لإسرائيل ليس امراً اختيارياً او مبني على اسس انسانية او استراتيجية، وانما هو قضاء إلهي؛ لأنه يسرع قدوم المسيح، ومن يقف ضد إسرائيل هو ضد المسيحية وضد الله بالذات.

(١) يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الامريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦.

ويقول الدكتور (محمد عمارة) ان الاصولية قد رشحت من القرن التاسع عشر من محيط غربي بروتستانتي امريكي ممثلاً بحركة اوسع هي "الحركة الالفية" (Millennialism) المؤمنة حرفياً بالعودة الثانية للمسيح، ليحكم العالم الف عام قبل القيامة، وبحلول القرن العشرين اصبحت الاصولية مذهباً مستقلاً يخاصم الواقع ويرفض التطور وتمثله جمعيات ومنظمات عديدة مثل (المؤسسة العالمية للأصوليين المسيحيين، والاتحاد الوطني للأصوليين)^(١).

ركزت الحركة الاصولية البروتستانتية الامريكية على رؤية تنبؤية مفادها: "أن اندحار العالم أخلاقياً سيتسبب بعودة وشيكة للمسيح قد تتخذ طابعاً انتقامياً، وهي رؤية غير تقليدية بطبيعة الحال، كونها قد طورت في انجلترا منتصف القرن التاسع عشر"^(٢)، وأن الاختلاف الكنسي حول كيفية وتفاصيل المجيء الثاني للمسيح كان الثغرة التي نفذت منها الصهيونية الى المسيحية واقنعتها أن قيام إسرائيل العسكرية هو علامة لعودة يسوع (المسلح) لحكم العالم^(٣).

مما سبق نطرح سؤال في هذا المجال هو، هل وحدها المسائل الصهيونية المسيحية هي عناصر جذب جماهيري لمنظمات المسيحية الاصولية؟

الجواب كلا، على الرغم من اهمية هذه الناحية، فمنظمات المسيحية الاصولية تركز نشاطها على الناس الذين يعيشون خارج المدن الرئيسية، وبالتحديد ابناء الجنوب والغرب، مما يشير الى ان دعواتها لا تنبت كثيراً في اوساط المثقفين الموجودين داخل المدن الكبيرة، بل تنمو في بيئة التي يحسب اعضاؤها انهم ضحايا الظلم، وعدم المساواة في الفرص والذين يتطلعون الى مجتمع لا يعرف الطبقات

(١) محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والاسلام، ط٢ (القاهرة: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ص ٤٢-٤٣.

(٢) Appleby Scott & Marty Martin, *Fundamentalism*, Foreign Policy, magazine, Issue 128 U.S.A, Jan/Feb2002, PP6-8.

(٣) اكرم لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣)، ص ص ١٨٧-١٨٨.

ويمنحهم بعضاً من القوة والايمن، وقد وجدت دعوة منظمات وجماعات الحركة الاصولية لها صدى ايضاً في اوساط طبقات عاملة لا ترى في مهنها او اعمالها ما يمنحها الرضا والاكتفاء، ووجدت ان استمرارها مرهون بمدى تحقيقها للريح بالنسبة الى رب العمل، فعاشت هذه الطبقات تفقد الامان والقوة والسعادة والسلام، وتنظر حولها فتري عرى أسرها تتفكك، وينشأ اطفالها بعيدين عن اطر الاسرة وتقاليدها ويشربون الكحول والمخدرات فتمتلئ هذه الطبقات بالخوف والفرع والاحساس بالعربة عن المجتمع والسلطة، وحينها تطرح المنظمة الاصولية دعوتها الروحية الملونة بالسياسة وشؤون المجتمع على شاشات التلفزة مباشرة بالخلاص من هذه الازمة الرديئة والعودة الى ايام زمان السعيدة^(١).

يتضح مما سبق ان الحركة المسيحية الاصولية هي حركة صاعدة تخلط الدين بالسياسة وتهدف الى الحصول على القوة بواسطة السيطرة على الطبقة التي تُشكل المجتمع المؤسسي المدني وتصوغ ثقافته ولا تخفي هدفها هذا بقول قادتها، ان حركتهم تعني "الاستيلاء على الولايات المتحدة الامريكية ومؤسستها، وقول احد زعمائها "نحن ثوريون نعمل على قلب التركيبة الحالية في الولايات المتحدة نحن نتحدث عن محنة الولايات المتحدة الامريكية"، ومن ثم فأنها تشكل قوة جديدة خطيرة في العقود المقبلة من القرن الواحد والعشرين وتقف الان وسط المسرح السياسي الامريكي، وتمد اذرعها الى خارج حدود الولايات المتحدة الامريكية الجغرافية والسياسية.

لم تقتصر هذه المشاعر على القساوسة فقط، ولكنها غمرت سياسيين ايضاً بمن فيهم بعض رؤساء الولايات المتحدة ونذكر منهم: الرئيس (ليندون جونسون) الذي قال في خطاب القاه امام منظمة يهودية امريكية: "ان لأكثركم ان

(١) John L. Kater, Christian on the Right (New York: seabury press, 1982), PP. 114- 117.

لم يكن لجميعكم، روابط عميقة مع ارض ومع شعب إسرائيل، كما هو الامر بالنسبة لي، وذلك لأن ايماني المسيحي انطلق من ايمانكم، ان القصص التوراتية محبوكة مع ذكريات طفولتي، كما ان الكفاح الشجاع الذي قام به اليهود المعاصرون من اجل التحرر من الابدانة منغمس في نفوسنا"^(١). وقد وصف الرئيس (جيمي كارتر) دولة إسرائيل في خطاب له القاه في الاول من ايار ١٩٧٨، بأنها "العودة الى ارض التوراة التي اخرج منها اليهود منذ مئات السنين، وان اقامة الامة الاسرائيلية في ارضها هو تحقيق لنبوءة توراتية وهي تشكل جوهر هذه النبوءة". وقد وافق ريغان في عام ١٩٨٦ على قصف ليبيا لأنه اعتبرها (عدواً لله)، وعندما اخرج التحالف الاستراتيجي الامريكي- الاسرائيلي القوات الفلسطينية من لبنان عام ١٩٨٢، اعتبر ريغان في خطاب له ذلك الانجاز "مفخرة لأمريكا" لأننا معنيون بالبحث عن السلام في الشرق الاوسط ليس كخيار انما كالتزام معنوي ديني"^(٢). فضلاً عن ذلك فإن الرئيس بوش الابن اعلن مراراً وتكراراً التزامه بعقيدة الحركة الصهيونية المسيحية.

ان التاريخ عند الاصوليين له نهاية اعجازية ومقدسة، فختامه سيشهد عودة رمز خارق مرثقب، وستنتهي المعاناة ويندحر الشر وينتصر المؤمنون، وهذه العقائد شديدة الوضوح في الاديان السماوية، اما ما سواها من اديان فتميل لاستعارة مفاهيم مُقارِبة^(٣). أن مذهب او عقيدة الالفية ذو جذور يهودية، لكن البروتستانتية احييتها وجعلتها فكرة مركزية في عقيدتها، وتدور حول عودة المسيح

(١) محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٣)، ص ٤١.

(٢) Jimmy Carter, The Blood of Abraham, (London, Sidgwick & Jackson, 1985), PP228-232.

(٣) Michael O. Emerson and David Hartman, The Rise of Religious Fundamentalism,

The Annual Review of Sociology, Rice (University, Houston, U.S.A, April 5, 2006) p 134.

المخلص الذي سيحكم العالم لمدة الف عام يسود خلالها السلام والعدل^(١). فالأصوليون يؤمنون انهم قادرون على استحضار نهاية الزمان رغم معارضة المؤسسة الدينية التقليدية لهذه الرؤى ورفضها لأولئك الذين يحاولون التعجيل بالقيامة أو الترويج لموعدها^(٢).

ويشير محمد اسماعيل المقدم في كتابه (خدعة هرمجدون)، ان هنالك أبعاداً سياسية للعقيدة الالفية التي تروج لها الاصولية المسيحية في الولايات المتحدة الامريكية عن طريق^(٣):

- قبول العالم لفكر (الإبادة) الذي تعتنقه اسرائيل في كل سلوكها، وهو فكر على العالم قبوله على أساس أنه المدخل الطبيعي للحياة السعيدة للرجل الغربي الذي يؤمن بالمسيحية، وبأن خلاصه لن يتحقق إلا بالعودة الثانية للمسيح، وقبول العالم إبادة عرب المنطقة على انه لا دخل لإسرائيل في هذا الفكر من قريب أو بعيد.

- تبرئة ساحة اسرائيل من الاتهام بالعمل على وقوع هذه المعركة النووية المتوقعة فالقضية لا تتجاوز كونها نبوءة انجيلية على العالم المسيحي العمل على تحقيقها لمصلحته في المقام الأول والأخير، شئت اسرائيل هذا أم ابت، إذ انها مجرد وسيلة لتحقيق مشيئة الله في زعمهم.

- التمهيد لإنشاء دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات، باحتساب أن هذا وعد إلهي ذكر في كتابهم بأنهم يملكون أرض الميعاد، ومن ثم يتحتم على كل مسيحي يؤمن بهذا الكتاب أن يسعى لتحقيق هذه النبوءات حتى ينال رضا الرب في زعمهم.

(١) يوسف الحسن، جذور الانحياز، دراسة في تأثير الاصولية المسيحية في السياسة الامريكية تجاه القضية الفلسطينية، ط ١ (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢)، ص ١٧.

(٢) Gershom Scholem, The Messianic Idea in Judaism and other Essays on Jewish spirituality, (New York, U.S.A, 1991), PP 7-10.

(٣) محمد بن اسماعيل المقدم، خدعة هرمجدون (الاسكندرية: دار المقدس، ٢٠٠٣)، ص ٤٢.

في الولايات المتحدة الامريكية ذات الاغلبية البروتستانتية يوجد اكثر من ٢٠٠ طائفة بروتستانتية، على اشكال وانماط متعددة، وبرزها (المسيحيون المولودون من جديد)، التي يركز ايمانها على مسلمة اساسية هي ان غرض الله لن يتحقق الا اذا عاد اليهود الى ارض الميعاد (فلسطين)، وأقاموا فيها مملكة إسرائيل اليهودية الخالصة، التي لا يشاركهم فيها او يقيم على ارضها كمواطن من مواطنيها احد من غير اليهود^(١)، ولذلك علينا ان نفهم السكوت الامريكي على اقامة المزيد من المستوطنات في الاراضي الفلسطينية على وفق هذا التصور الديني المنتشر بين الفرق الانجيلية، لأنه جزء من معتقدات دينية راسخة.

ان الاصولية الانجيلية تُحاول ان تقدم صورة للمستقبل على وفق هذه التفسيرات، وبحكم الموقع المؤثر الذي تحتله في صناعة القرار السياسي والذي هو في الوقت الحالي من يؤثر في مصير العالم ومقدراته، فقد بات من اللازم مراقبة دورها المتنامي، فمثلاً، ان قرار الكونجرس الامريكي بمجلسيه في ٢٤ / تشرين الاول/ ١٩٩٥ الخاص باعتبار مدينة القدس عاصمة ابدية لإسرائيل، لم يقع ضمن اطار حركة السياسة الخارجية الامريكية الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط، بل انه جاء على وفق معتقدات دينية اصولية، ومثال اخر على ذلك، هو الافراط في استعمال حق الفيتو (Veto) في مجلس الامن الدولي، ازاء قرار يدين إسرائيل او في الشراكة الاستراتيجية التي تعتبرها احد مسلمات الامن القومي الامريكي، ما يؤكد التواصل بين التفسير الصهيوني لما جاء به العهد القديم والذي تعتمده جميع فرق وفئات البروتستانت في الولايات المتحدة الامريكية والقرار الامريكي في الشرق

(١) شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة (بيروت: دار رياض الرئيس للكتب، ١٩٩٧)، ص ١١٨.

الاطوسط، مما يدل على مدى قدرة الحركة الاصولية على التأثير في صناعة القرار الامريكي وتوجيهه بما يخدم القرار الاسرائيلي اقليمياً ودولياً^(١).

وبناءً على ذلك، فإنّ تجسيد الدين في السياسة يجب ان يتمتع بمصدقية مقدسة، وبالتزام شديد في الدوائر السياسية الامريكية عن طريق ربط الوقائع السياسية بالتنبؤات التوراتية، وهذا ما قامت به الاصولية المسيحية، وعملت على تحقيقه. وكانت احداث ١١ ايلول ٢٠٠١، بمثابة التأكيد على الربط بين التنبؤات الدينية التوراتية والوقائع السياسية للجماعات المسيحية المتطرفة التي تمتلك القدرات الواسعة، والتي تؤمن بأفكار ونبوءات متطرفة تشير الى قرب نهاية العالم، وقيام معركة فاصلة بين قوى الخير والشر.

ان الحرب على العراق لا يمكن النظر اليها على انها تتعلق بقضايا اقتصادية واهداف جيوبوليتيكية فقط، بل انها جاءت استناداً الى السياسات التي تنطلق من الافكار والنبوءات التوراتية والإنجيلية في المقام الاول، إذ دخلت هذه الحرب ضمن تأويلات قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية للنبوءات التوراتية وتم النظر الى العراق على انه بابل "ارض السبي البابلي"، ومن الضروري تحقيق هذه النبوءات التوراتية وذلك بالأعداد لشن الحرب على العراق وتدميره والانتقام من مضطهدي اليهود الذين سبواهم وجاؤوا بهم الى بابل القديمة التي يصير الكثير من الساسة والقساوسة الامريكيين على الربط بين العراق الآن وبابل القديمة، باعتبار العراق وريث بابل والعراقيين هم الذين اضطهدوا اليهود ولا بد من الانتقام منهم^(٢).

(١) حميد حمد السعدون، الحوار الحضاري بين الأصولية الدينية وسياسة الهيمنة الأمريكية، ط ١ (بغداد: مركز العراق للدراسات، مطبعة الساقبي، ٢٠١٠)، ص ص ٦٨-٦٩.

(٢) نقلاً عن: مثنى فائق العبيدي، البعد الديني في الحرب الامريكية لاحتلال العراق، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد ٤، السنة ١ (كلية القانون: ٢٠٠٩)، ص ٢٩٠.

لذلك كان لا بد لإجراء يقوم به اليمين الأمريكي من اجل تحقيق هذه النبوءات في رؤية دماء احفاد البابليين وهي تسيل قرب ضفتي دجلة والفرات، فهذا بوش الابن كان يصر على الحرب لأسباب دينية، وقال: بأن الحرب تنتهي لصالحه لأن الله يقف الى جانب قوى الخير التي تمثلها الولايات المتحدة، هذا فضلاً عن الكثير من النبوءات التي تتحدث عن ذلك، وخصوصاً في رؤيا اشعيا واربيا والاصحاح التي توجد فيها الكثير من هذه النبوءات، ومن اهمها ما جاء في رؤيا اشعيا (١٣: ٩-١٦): "ها هو يوم الرب قادم مفعم بالقسوة والسخط والغضب الشديد ليجعل الارض خراباً.. وأعاقب العالم على شره.. واضع حداً لصلف المتغطرسين.. واذل كبرياء العتاة.. فأززل السماوات لترزع الأرض في موضعها، وتولي جيوش بابل حتى ينهكها التعب الى ارضهم.. ويمزق اطفالهم على مرأى منهم وتنهب بيوتهم وتغتصب نسائهم"^(١).

هكذا يؤكد العهد القديم الذي يؤمن به الانجيليون الاصوليون والحركة الصهيونية المسيحية، على وجوب الحرب وترك العراق خراباً بلا ساكن وذلك من اجل ان تكون هذه الحرب انتقاماً تاريخياً، تنبأ بها العهد القديم، من الآشوريين والكلدانيين الذين دمروا مملكتنا إسرائيل ويهوذا وكان من قدر العراق ان الآشوريين والكلدانيين قد خرجوا منه.

وما يميز المسألة الامريكية هو: أولاً: اننا امام قوة مدمرة غاشمة لا تستند الى قيم عالمية متفق بشأنها بل تضع جانباً القوانين الدولية والشرعية الدولية، وتنفرد بسياسات اقل ما يمكن ان نقول عنها انها لا تراعي إلا المصالح الانانية الضيقة للقائمين على أمر هذه القوة، فالقوة الامريكية تُبجح لنفسها ما تحرم على الآخرين. ثانياً: انها تكشف عن مفارقة كبيرة يجمع داخلها العلم والتفوق، فأماننا القوة

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢٩٠ - ٢٩٢.

العظمى الاولى في العالم، وتمتلك اعلى مستويات التقدم العلمي والتكنولوجي، وأمامنا كذلك أمريكا أخرى يكشف عقلها السياسي والديني عن حالة من التخلف والجمود قد لا نجد لها نظيراً في أغلب دول العالم، وبتعبير آخر نحن أمام امريكيتين: امريكا العلم والحريات المدنية والفصل بين الكنيسة والدولة، وامريكا أخرى مضادة وهي امريكا الاصولية التي تؤمن بالخرافات والاساطير والتي يتداخل فيها الدين مع الدولة.

حيث انقلبت ظاهرت العلاقة التقليدية بين الدين والدولة الامريكية رأساً على عقب بما يجعل من رجل الدين في خدمة رجل الدولة، مفلسفاً ومبرراً له مشاريع الغزو والاستعمار واشعال الحروب مع ديانات اخرى على اسس العنف والكراهية والتكبر^(١).

ثالثاً: أنها تكشف عن القدرة الفائقة لأمريكا على "الاسقاط- والتضليل الشامل"، فهي تكتشف التشدد والتطرف لدى الآخرين خاصة لدى العالم العربي والاسلامي، لتغطي على التشدد والتطرف الصادر من عقر دارها، وهي لا تكتفي بممارسة الاسقاط السياسي والاعلامي، الذي سرعان ما يتحول الى اسقاط عسكري، وإنما تمارس تضليلاً شاملاً من خلال اجهزتها الجبارة لإقناع الآخرين بأنها تُحارب الارهاب والتطرف، في حين أنها هي مصدر التطرف والارهاب في العالم.

وختاماً نرى أن فكر الحركة المسيحية الاصولية مستقر في نسيج المجتمع الامريكي ويتنامى بفعل عوامل عديدة، من بينها المناخ السياسي العام الملائم، ومأسسة (Institutionize) هذا الفكر في اطر منظمة تمتلك وتدير اجهزة متطورة في الاتصال الجماهيري، مما يوصله الى عقول الملايين من الامريكيين، ويزيد

(١) نعوم تشومسكي وجيلير الاشقر، السلطان الخطير للسياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط، ترجمة ربيع وهبة، مراجعة امل حوا (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٧)، ص ١٥٢.

في دعمه وتقوية ممارساته ما تقدمه اليه الحركة الصهيونية اليهودية من تأييد وتدعيم، لأنه في المحصلة يخدم اهداف الصهيونية السياسية، بدعمه غير المشروط لإسرائيل وسياساتها، المبني على أسس توراتية عميقة. بالتالي فأن عملها اخذ طابعاً سياسياً فضلاً عن عملها الديني، واصبح لديها قوة ضاغطة ومؤثرة على صنع القرار السياسي الامريكي داخلياً وخارجياً، وهذا ما يؤكد على مزج الاتجاهين (الديني - واللا ديني) وعملية التأثير المتبادلة فيما بينهما.

المطلب الثاني: المشاهد المستقبلية للاتجاه اللا ديني* في الولايات المتحدة الامريكية

يقول المفكر الجزائري (مالك بن نبي) "الانسان الغربي لا يحمل فضائله خارج عالمه"، وهذه حالة السياسة لأنها لا تقوم على القناعات ولا على المبادئ السامية، لذلك ان مروجي الخطاب السياسي الامريكي يقولون "على الولايات المتحدة عدم التراجع عن منطق القوة؛ لأنها تُجاذف بالعنصر الاساسي في سلطاتها العالمي"، ومثل هذا الفكر يؤدي الى تحول هذه الدولة الى دولة فاشية؛ لاعتمادها على سياسة القوة المُفرطة التي تتوارى امامها الاهداف الانسانية والضمير الانساني. لذلك فقد تم تقسيم هذا المطلب الى مشهدين الاول: صراع الحضارات وآفاقها المستقبلية، والمشهد الثاني: مستقبل الهيمنة الامريكية.

المشهد الاول: صراع الحضارات وآفاقها المستقبلية

لم يكن مبدأ صراع الحضارات حديثاً كما يشاع في الادبيات السياسية، او مقترناً بمفكر غربي واحد دون سواه كما يثار في الكثير من الكتابات المعاصرة، وانما هو قديم قدم الحضارات ذاتها، ويمكن الاستدلال عن ذلك بما ورد في الكتب المقدسة والتفسيرات اللاحقة لها والتي كرس جزءاً مهماً من نصوصها في الاشارة

(*) ونقصد به جميع الاتجاهات الفكرية التي لا تؤمن بدور الدين في الحياة السياسية بشكل عام.

الى الاغيار وكيفية التعامل معهم، كما ان بعض النصوص الاسلامية قد اشارت كذلك الى التعامل مع اصحاب الديانات او الملل الاخرى تعاملأ خاصأ انسجأماً مع فكرة الدارين (دار الكفر ودار الايمان).

لكن الحديث في مبدأ الصراع الذي يتزعمه (هنتنغتون) هو الانتقال بهذه الفكرة من التوظيف العلمي الوظيفي الى التوظيف السياسي والذي يراد به ادامة التهديد وقبول فكرة سرمدية الصراع بين المجتمعات والحضارات الانسانية، فعلى حد قول هنري كيسنجر ان ما تحتاج اليه الولايات المتحدة الامريكية هو تهديد واضح معروف وايدولوجية معادية وان قضى انتهاء الحرب الباردة بزوال الخطر السوفييتي فان المهمة الان تتطلب احياء التهديد او اعادة خلقه بالقوة ذاتها^(١)، كما سبق هنتنغتون بالإشارة الى الخطر الاسلامي المفكر الغربي برنارد لويس الذي استنتج في كتابه "الشرق الاوسط"^(٢) بان الغرب يواجه حركة تتخطى بكثير مستوى القضايا والسياسات التي تتابعها وهذا ليس اقل من صدام حضارات الذي ربما كان غير منطقي ولكنه بالتأكيد رد فعل تاريخي لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني^(٣).

الا ان الفرق بين هنتنغتون وسواه من المفكرين الآخرين هو انه اعطى للصراع الاسلامي الغربي بعده الحضاري الذي لا يتردد في القول بحتميته، تلك الحتمية التي تنمأى تماماً مع ما اتى به كارل ماركس في نظريته الصراعية التي توقفت عند الحدود النظرية ولم تفلح تجارب العالم الشيوعي التي امتدت لأكثر من

(١) هنري كيسنجر، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣)، ص ١٦.

(٢) ينظر: برنارد لويس، مستقبل الشرق الاوسط، تنبؤات برنارد لويس، ط ١ (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٠)، ص ٧٦.

(٣) Bernard lewis, the root of muslim rage, atlantic monthly, (1990: 266), p60.

سبعين عاما ان تحقق ولو جزءاً يسيراً من النتائج النظرية المبهرة لتلك النظرية. لذلك يقتضي فهم نظرية الصراع الحضاري وتواضع من خلال الاطلاع على المحاور الاساسية لتلك النظرية:

١- محاور نظرية الصراع

تتنوع نظرية هنتنغتون على محاور عدة تكاد تقترب من البديهيات من وجهة نظره فهو يرى:

١- ان الصراع بين الحضارات يأخذ شكلين: الاول- الصراع المحلي او الصغير حيث تحدث صراعات بين حدود التقسيم في دول الجوار المنتمية الى حضارات اخرى مختلفة وبين جماعات اخرى تنتمي الى حضارات مختلفة داخل دولة ما، كذلك فأنها تحدث بين جماعات تحاول اقامة دول جديدة على انقاض الدول القديمة كما حدث في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا السابقين صراعات خطوط التقسيم متفشية خاصة بين المسلمين وغير المسلمين^(١). كما وتبقى حدود الاسلام دموية مثلما هي الاحشاء^(٢).

٢- ما دام الاسلام يظل وسيظل كما هو، والغرب يظل (هذا غير مؤكد) كما هو الغرب، فان الصراع الاساسي بين الحضارتين الكبيرتين واساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقتهما بالمستقبل كما حددها على مدى الاربعة عشر قرناً السابقة هذه العلاقات يزيد من تعكيرها عدد من القضايا الرئيسة من اهمها ان

(١) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط ٢ (القاهرة: دار سطور للنشر، ١٩٩٨)، ص ٢٦٠.

كذلك ينظر:

Simon & Schuster, avenue of the Americas, (New York : Rockefeller center 2001), p120.

(٢) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٨.

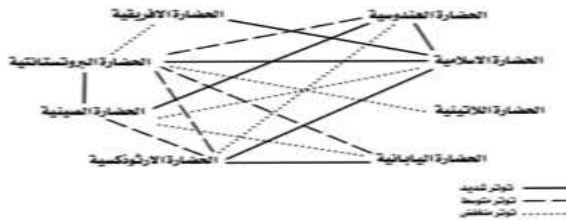
الغرب أسهم في زرع اسرائيل في قلب العالم الاسلامي مما اوجد مبرراً اسلامياً للصراع معه.

٣- العداء الاسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق الغربي المتزايد من الخطر الاسلامي وان الاسلام يمكن عدة كمنافس كوني للغرب.

٤- ثم ينطلق من فرضية ان المصدر الجوهرى للصراعات في العالم لن يكون بالدرجة الاساس صراعا ايديولوجياً كما كان حاصلًا بين الغرب والاتحاد السوفيتي او اقتصادياً كالصراع على مناطق الثروات الاساسية في العالم بل هو ثقافي وتحديدًا ديني حضاري^(١).

وكأنه ينزع الى القول بان بقاء التنوع الديني كفيل بحصول الصراع الدولي وان الضرورة تقتضي اذا ما اريد التخلص من الصراع ان نتخلص من التنوع الديني قبل ذلك. وان الصراعات الرئيسة ستحدث بين الدول والمجتمعات المنتمية لحضارات مختلفة وستكون خطوط الصراع التي اسمها خطوط الصدع او التشقق هي خطوط معارك المستقبل وكما يوضح الشكل رقم (١). وما يثير القلق الآن في العالمين الاسلامي والعربي تحديداً هو صعود التيارات الدينية السياسية او قبول صعودها في مقابل التراجع عن دعم النظم العلمانية، وكأنها محاولة لتهيئة الاجواء الصراعية لإعادة بناء معمارية عالمية جديدة بعد الانتهاء من اشكال العداء كافة.

شكل (١) خطوط الصراع الرئيسة والثانوية وفقاً لنظرية صدام الحضارات



(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ و ص ٣٤٨ و ص ٤٠١.

وهو يفترض كذلك ان الصراعات القادمة ستكون بين الحضارة الغربية والحضارات الاخرى على العكس من الصراعات السابقة التي حصلت داخل اطار الحضارة الغربية المسيحية ذاتها، وان اهم صراعات المستقبل: هي تلك التي تحصل في خطوط الصدع بين الحضارات وخاصة مع الحضارتين الكونفوشوسية والاسلامية، لا سيما اذ استمر التدخل الغربي في شؤون تلك الحضارات، ويمكن ان يكون المصدر الوحيد والاشد خطراً بالنسبة لعدم الاستقرار والصراع الكوني المحتمل في عالم متعدد الحضارات^(١).

ثم ينطلق من فرضية اخرى مفادها ان العلاقات بين الاسلام والمسيحية كانت عاصفة غالباً، فكلاهما كان نداءً للآخر وكأن الصراع بينهما مستمر وعميق وسرمدي. فالإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك دائم، ثم يتطرق الى القول ان ضعف الدولة القومية وانتفاء الدول الايديولوجية كمصدر للهوية يدفع بالدين الى الصدارة كهوية ذاتية عابرة للحدود السياسية والايديولوجية وعاملة على توحيد الحضارة، خيار الاسلام بدلاً من القومية شهادة بقيمة الاسلام كأيديولوجية سياسية عابرة للحدود الجغرافية^(٢).

هذا الاعتقاد المستند الى فكرة صراع الحضارات المعبرة عن خطورة الديانات والثقافات غير الغربية وخاصة الديانة الاسلامية المقترن بسلوك عدائي دموي غربي شنته الدول وليست المنظمات هو الذي أخذ ويأخذ حيزاً واسعاً وخطيراً لافي توجهات الدول الاسلامية وانما المنظمات التي سمت نفسها اسلامية ازاء المنظومة الغربية برمتها، وهو الذي اوقع السياسات الامريكية تحديداً في اخطاء

(١) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٨-٣٣٩، و ص ٤٠٣.

فادحة يصعب تجاوزها في المدى المنظور^(١). ولقد اثبتت التجربة القصيرة لتعامل الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية مع الاسلام عن قلة تبصر تلك الدول وقصر نظرها، ففي معظم الدول الاسلامية تتشكل التصورات حول الولايات المتحدة ليس من خلال نظريات فاقدة للصواب كنظرية الصراع او سواها، بل من ثلاثة عناوين واقعية رئيسة:

الاول: هو الدور الامريكي الداعم لإسرائيل منذ نشأتها ولحد الان وهذا الدور المتميز بالانحياز الواضح لا يجد له تفسيراً الا من زاوية الاستخفاف بالثوابت الاخلاقية والتاريخية للامتين العربية والاسلامية، لاسيما وان اسرائيل لن تكف عن البوح بان كيانها يهودي ودولتها العبرية قائمة على العنصرية الدينية المرتكزة على انكار حقوق الاخرين ومقدساتهم الدينية وهو تعبير واضح عن وقاحة المشروع الصهيوني. الثاني: دعم النظم الاستبدادية في المنطقة التي لا تقيم وزناً للمشاركة السياسية رغم ان شعار الذي تتحدث عنه هو توسيع واشاعة نظم الحكم الديمقراطية، وعندما تحقق الديمقراطية رغبة الاغلبية فان الولايات المتحدة تقف بالضد منها. الثالث: عدم التفرقة بين القول والفعل فيما يتعلق بقبول الاسلام كديانة عظيمة اتسمت برسالة التسامح والاعتراف بالديانات الاخرى كاليهودية والمسيحية والديانات الكتابية على اختلافها.

وان عُد الاسلام تهديداً للحضارات الاخرى فمعنى ذلك عدم احترام للمسلمين ومقدساتهم العقيدية مما يزيد من حساسية المسلمين ازاء الغرب والولايات المتحدة على حد سواء، فعندما يقول بات روبرتسون لقد كان ادولف

(١) ادوارد ب دجيريجيان، الخطر والفرصة - رحلة سفير امريكي في الشرق الاوسط، ترجمة السيد عليوة ، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي ٢٠٠٩)، ص ٣٠١.

هتلر انساناً سيئاً لكن الاسوأ منه هم المسلمون في تعاملهم مع اليهود^(١). وعندما يشير الاب جيرى فالويل في كلامه عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) انه (ارهابي). وعندما يقول الاب فرانكلين غراهام عن الاسلام انه دين شرير مثلما يقول ان المسيحية والاسلام يختلفان اختلافاً النور عن الظلام^(٢) وهو الاتجاه السائد في معظم الدول المسيحية، وان السمة المميزة في الغرب هي عدم التمييز بين الاسلام كديانة وبين الحركات الاسلامية او المسلمين الذين يعادون الولايات المتحدة والغرب ويرفعون السلاح من اجل الاضرار بمصالحهما، متكئين ليس على الاخطاء الفادحة التي تعاملت بها الولايات المتحدة والغرب في الكثير من قضايا المنطقة ومنها قضية احتلال البلدان الاسلامية بذرائع شتى كالحرب الاستباقية او سواها من المفاهيم، وانما على ذات الحجج الهنتجتونية كما تم ذكرها سابقاً.

وتصبح النتيجة لكل ما تقدم ان الولايات المتحدة ستدعم حرباً عالمية ليس على ما تسميه ((الارهاب)) بل على الحضارات الاخرى، وعلى قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا وهو امر لا تستطيع الولايات المتحدة على الاقل في المدى المنظور ان تنوء بحمله. لذا فهي مضطرة بفعل العجز عن تحقيق مثل هكذا غاية، اما الى العزوف عن تلك التوجهات الخطيرة، او ان تُعيد النظر في ترتيب دول الحضارات الاخرى على قاعدة التفكيك واعادة التركيب وفقاً للظروف الراهنة التي تُستبعد فيها كل امكانيات المواجهة المباشرة مع دول العالم الاسلامي، واللجوء الى نشر الفوضى التي تسمح بإعادة الترتيب، ربما تمهيداً للانقضاض على مجتمعات تلك الدول دفعة واحدة وقد تكون الادارة الامريكية الجديدة قد باشرت بالموضوع

(١) dana millbank, conservatives dispute bush's portrayal of islam as peaceful Washingtonpost:30november, 2002) p3. (

(٢) ibid-p.p 4-5.

مبتدئة بالدول العربية وصولاً الى ما عداها لاسيما في موضوع التحولات اللاحقة في الاستراتيجية الجديدة.

٢- ركائز نظرية الصراع الحضاري

كان صعود نظرية الصراع الحضاري اشبه بالأطروحة الاساسية في سياق السعي لتخطيط حضاري عالمي جديد^(١)، وعلى عكس كل الطروحات التي كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي التي تشير الى ضرورة ان تتعلم الحضارات بعضها من البعض الآخر وكيف تعيش جنباً الى جنب في علاقات سلمية متبادلة كي تثري حياة كل منهم الآخر^(٢).

تأتي أطروحة هنتنغتون كي تكرر ولو مفاهيمياً انتهاء أطروحة الحوار والتحالف الحضاري وتعيد التأكيد على ان صدام الحضارات هو التهديد الأكبر للسلام العالمي ويقوم الضمان الاكيد للانتصار الغربي على هذا التهديد على ركيزتين:

الاولى: ان من الواجب الحفاظ على الحضارة الغربية، ومن اجل تحقيق ذلك يجب ان تقوم الولايات المتحدة والدول الاوربية بالآتي^(٣):

١. ان تحقق تكاملاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً أكبر وتنسق بين سياساتها.
٢. تدمج دول أوروبا الوسطى و أوروبا الغربية في الاتحاد الاوربي والناتو وهي دول الفيزيچارد وجمهوريات البلطيق وسلوفينيا وكرواتيا.

(١) السيد ياسين، الحضارات بين الحوار والصراع والتحالف، جريدة الاصلاح، العدد ٣٩٦ الصادر في ١٧ آيار، (مصر: ٢٠١٠). ص ٩.

(٢) صمويل هنتنغتون - صدام الحضارات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠٤.

١٠ . تشجع تغريب امريكا اللاتينية وانحيازها الى الغرب بقدر المستطاع.
١١ . تكبح القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الاسلامية والصينية وتبطل من عملية ابتعاد اليابان عن الغرب وتوجهها نحو التكامل مع الصين.

١٢ . تقبل ان تكون روسيا مركزاً للارثوذكسية وقوة اقليمية رئيسة ذات مصالح مشروعة في أمن حدودها الجنوبية.
١٣ . تحافظ على تفوقها التكنولوجي على الحضارات الاخرى.

اما الركيزة الثانية: فهي ان المبادئ السياسية اساس غير مكن لبناء مجتمع يدوم وفي عالم متعدد الحضارات للثقافة فيه اهمية كبيرة، ستكون الولايات المتحدة ببساطة هي آخر البقايا الشاذة لعالم غربي آفل كانت للأيدولوجية فيه اهمية كبيرة، وهو ينتهي الى فرضية ان رفض قانون الحضارة الغربية يعني نهاية الولايات المتحدة ويعني ايضاً بالفعل نهاية الحضارة الغربية. كذلك يحذر الولايات المتحدة من انها لو تخلت عن اثر الغرب فانه سيتم اختزاله الى أوروبا وقليل من دول الاستيطان الاوربي الصغيرة في ما وراء البحار، وبدون الولايات المتحدة يصبح الغرب جزءاً صغيراً ومنهاراً^(١). ومعنى ذلك ان الحضارة الغربية في خطر لأنها ستدخل مع الحضارتين الاسلامية والكونفوشوسية في صراع وستكون الغلبة في النهاية للإسلام وللكونفوشوسية.

حول هذه الطروحات الخطيرة دار جدل علمي واسع وانتقد عدد من المفكرين في الغرب الشرق على السواء مسلماتها وفندوا تنبؤاتها، بل واتهم صاحب النظرية بالعنصرية لأنه ينظر في الواقع نظرة دونية للحضارات الاخرى غير الغربية، لكن كل تلك الانتقادات لا تعني ان المفكر الامريكي هنتنغتون ليس جاداً في

(١) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٥.

البحث عن رؤية تفسيرية جديدة لمستقبل النظام العالمي انطلاقاً من الواقع الذي يعيشه المجتمع ذاته، مستحضراً معظم شواهد التاريخ الانساني بدلالات تفسيرية تنطلق من وحدة موضوعية وتعميم متعدد، الوحدة يمثلها الصدام او الصراع.

قبل ذلك التاريخ كان الحديث يجري عن احالات ثقافية او بدائل ربما كان السبيل الى تحقيقها لا يجري بالضرورة عن طريق القوة العسكرية المعروفة، وانما بوصف المفكر الامريكي جوزيف ناي عن طريق القوة الناعمة^(١)، بهدف تعميم ثقافة غربية اثبت نجاعتها في الواقع الدولي المعاش، كي تسود بوصف المفكر الامريكي الآخر فرانسيس فوكوياما (الجنة الموعودة) التي اسمها المرحلة الذهبية في المسيرة التاريخية للإنسانية والوصول الى نهاية التاريخ^(٢).

الا أن هنتنغتون فند تلك الطروحات الباعثة على الامل واصفاً المستقبل بأنه صدامي ودموي وكلي على قاعدة الاختلاف الحضاري الكلي ايضاً.

الفكر الصراعى لا يعد الوضع الدولي الحالي سوى مرحلة مخاضيه انتقالية من التاريخ الانساني ملامحها الاساسية تجميع قوى حضارية لمستلزمات الصراع وهذا التجميع لم يبلغ مراحلها النهائية بعد، كون البعض من تلك القوى لم تشكل لديه الدولة الفائزة مثلاً، او ان بعضها الآخر لم يتم فيه تجميع القوة الكافية، بفعل عدم القدرة في المرحلة الراهنة، بانتظار التحولات اللاحقة القادرة على التجميع مثلاً^(٣).

(١) ينظر: جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، ط ١ (الرياض: العبيكان للنشر، ٢٠٠٧)، ص ٩.

(٢) ينظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الاخير، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، (بيروت: مركز الانماء العربي، ١٩٩٣)، ص ٧٦.

(٣) حسين حافظ العكيلي، المرتكزات والتحولات الاساسية للاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط، سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، العدد ١١٠ (بغداد: تشرين اول ٢٠١١)، ص ١٧.

ومن ثم فإن نتائج المخاض النهائية هي صراع حضارات تنتهي بانتصار حضارة بعينها حددها هنتنغتون بالحضارة الاسلامية دون الاشارة الى الكيفية التي يتم بها ذلك الانتصار في ظل التراجع والانكفاء في القدرات الاسلامية.

الغرب في هذه المرحلة المخاضية متشكل على قاعدتين اساسيتين. الاولى: وجود دولة استقطاب مركزية متمثلة بالولايات المتحدة الامريكية المتفوقة عالمياً تكنولوجياً وعسكرياً واقتصادياً، فضلاً عن الدول الاوربية المسيحية التي تدور في الفلك الامريكي بلا شك.

اما الثانية: فهي صلة القرى التي تتوحد بموجبها الثقافات المشتركة بين امريكا و أوروبا من دين وثقافة وقيم فكرية مشتركة كالحرية والديمقراطية وحقوق الانسان والليبرالية الى غير ذلك من المنطلقات الثقافية الموحدة. بقاء الغرب من وجهة نظر هنتنغتون مرتكز او متوقف على الامريكيين بتأكيدهم على الهوية الحضارية الغربية.

الصورة النهائية التي توصل اليها هنتنغتون هي ان النظام العالمي الحالي سينهار وفقاً لاشتراطات ونتائج صيرورة نظام حضاري جديد قائم على تحالفات حضارية قاعدتها الاساسية صلة القرى الثقافية تكون فيها التوازنات الجديدة ليس في صالح الغرب كما اوضحنا بل في صالح ثقافات اخرى، وبإشارة واضحة يستدرك انه طالما ان الاسلام سيظل كما هو الاسلام والغرب يظل وهذا غير مؤكد كما هو الغرب فان الصراع الاساسي بينهما سوف يستمر لكن الغلبة في النهاية كما يعتقد هو للمحمدية على اليسوعية^(١).

هذا الاستنتاج الخاطئ هو بكل تأكيد جوهر نظرية صراع الحضارات التي اثرت كثيراً في الواقع باتجاه استعمال القوة الأمريكية في حسم الكثير من العلاقات

(١) صموئيل هنتنغتون ، صدام الحضارات، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٢.

بينها و بين بعض الدول الإسلامية و دخولها في صراع مباشر في أفغانستان و العراق مثلاً ناهيك عن انسحاب أوروبا لذات المنهج العدواني على ليبيا.

هذا التوصيف السياسي لنظرية صراع الحضارات كان دافعاً أساسياً وراء الطروحات الفكرية التي لازمت مرحلة الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش على المستويين السلوكي والعملياتي فالحرب التي شنها على أفغانستان هي حرب صليبية بوصفه، ولا يتورع كذلك عن نعت الاسلام والمسلمين بالفاشست وهذه هي المرة الاولى في التاريخ السياسي الحديث ان يُنعت ربع سكان العالم او يزيد بأن حدودهم دموية وانهم يشكلون خطراً على الحضارة الانسانية.

وعوداً على بدء فان متلازمة التهديد لابد وان تبقى سبيلاً لتدمير سياسات الولايات المتحدة، ومثلما اوضح هنري كيسنجر (ان ما تحتاج اليه الولايات المتحدة الأمريكية هو تهديد واضح معروف وايدولوجية معادية، وان قضى انتهاء الحرب الباردة بزوال الخطر السوفيتي فان المهمة الان تتطلب احياء التهديد او اعادة خلقه بالقوة ذاتها)^(١).

بعد كل ما تقدم نستطيع القول هنا ان الموقف الأمريكي والأوروبي الغربي بالأساس هو موقفاً عدوانياً ضد الإسلام و دوله بدليل دعم وجود اسرائيل في قلب العالم الإسلامي بمساعدة غربية، وان الحضارة الاسلامية ليست عدوانية بقدر ما هي تسامحية في علاقاتها مع الأمم و الشعوب التي سيطرت عليها في مرحلة تاريخية ما، غرناطة على سبيل المثال و بخارى مثال آخر، وان الطروحات الفكرية الأمريكية الأكثر حضوراً وتأثيراً في عملية صنع الاستراتيجيات الأمريكية هي تلك الطروحات التي تدفع باتجاه تنامي الخطر الاسلامي وسبل مواجهته ومنها الطروحات الصراعية رغم تحفظنا على العديد من الافكار الواردة في هذه

(١) carroll Quigley, *the evolution of civilizations-an troduction-to historical analysis* (new york: macmillan,1991),p146.

الطروحات الفكرية المؤثرة في عملية صنع الاستراتيجيات الامريكية، الا ان الادارات المتعاقبة دون استثناء كانت جميعاً تسترشد بالمنطلقات الفكرية لتلك الطروحات مع مراعات الفرق بين الجمهوريين والديمقراطيين.

المشهد الثاني: مستقبل الهيمنة الامريكية

يقصد بالهيمنة وجود قوة دولية مهيمنة، تكون لها الغلبة والتفوق في جميع المصادر ولاسيما المصادر المادية، وتتوافر لديها القوة والإرادة اللازمتان لصياغة قواعد التفاعل فيما بين الدول داخل النظام الدولي، وإن الهيمنة متعددة الأبعاد ولا يمكن الفصل بين الهيمنة السياسية والهيمنة الاقتصادية والهيمنة العسكرية والهيمنة المعرفية، وإن الهيمنة هي نفسها آليات العولمة التي هي العقيدة الطبيعية للهيمنة العالمية، حيث تعدد بالأساس طموحاً وتطلعاً قبل كل شيء، وأصبحت بتعاقب الأجيال من صميم تفكير عدد من الشعوب الطامحة لتحقيقها، ومن المعروف أن الهيمنة مفهوم يتمثل في أبرز أبعاده محاولة انتزاع الشرعية الدولية لصالح الدولة الطامحة، إذ تصبح هذه الشرعية متمثلة في قدرة الدولة المهيمنة على إقناع الآخرين بسياساتها^(١).

لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك من مقومات القوة بما يمكنها من ممارسة التأثير على المستوى الدولي ويفرض هيمنتها عليه، وبما يحقق أهدافها ومصالحه، فالقدرة التأثيرية للولايات المتحدة لا تتمثل بما تملكه من قدرة عسكرية ضخمة فحسب، بل بما تملكه من متركزات اقتصادية وقاعدة واسعة للمعرفة والقدرات التكنولوجية. لذا نرى من المفيد ان نركز على هذه المتركزات المهمة التي

(١) Robert O. Keohane, *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy* (New Jersey: Princeton University Press, 1984), P32.

من خلالها يمكننا التوصل الى مُستقبل الهيمنة الامريكية على العالم سواء على المدى القريب أو البعيد والتي هي:

المرتکز الاقتصادي: يمكن ان نلتمس القوة الاقتصادية من خلال "الفلسفة الليبرالية" التي تميزت بها الولايات المتحدة الامريكية وحسب هذه الفلسفة تعد الملكية الخاصة من أهم حقوق الإنسان في الفطرة، وأن الله منح الأرض ملكاً مشتركاً لجميع أفراد النوع الإنساني، ومنحهم كذلك العقل كي يستفيدوا من استغلالها لفائدتهم ولتحسين حالهم وحياتهم، وفضلاً عن ذلك فإن "العولمة الاقتصادية الامريكية" وفرت بالنسبة للولايات المتحدة في دورها الجديد الذي تلعبه بوصفها القوة العالمية المسيطرة، مذهباً وإطاراً مرجعياً مفيداً لتحديد العالم المعاصر وعلاقة أميركا به، حيث أصبحت العولمة عقيدة قومية لدى الولايات المتحدة الأمريكية والأداة المفضلة في السياسة الخارجية الأمريكية، فمن خلال مؤسسات (صندوق النقد الدولي IMF - البنك الدولي IB - منظمة التجارة العالمية WTO) استطاعت الولايات المتحدة وبحكم قدراتها المالية والتجارية أن تفرض سيطرتها على السوق التجاري والمالي العالمي، وتسخير التعاملات العالمية في خدمة مصالحها، وجعل كل الاقتصاديات العالمية تسير وفق المنهج الرأسمالي^(١).

وكشف تقرير اقتصادي أعده (البنك الدولي)، أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تحافظ على صدارتها للاقتصاد العالمي، بناتج محلي إجمالي بلغ نحو ١٧,٩٦٨ تريليون دولار أمريكي، ويشير المفكر الأمريكي (جوزيف س. ناي) "ان ما يبقي الولايات المتحدة على قمة المجموعة على ما يبدو هي نقاط قوتها التقليدية - سوق وحيدة هائلة تغذي المنافسة، وعملة مستقرة، ونظام مالي سليم - مشفوعة

(١) زيغنيو بريجنسكي، الاختيار - السيطرة على العالم ام قيادة العالم(بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤)، ص١٦٥.

بتقدم تكنولوجيا سريع في قطاع تكنولوجيا المعلومات لديها"، كما ويشير (ناي) إلى ذلك بقوله "تملك حصة قدرها ٢٧% من الإنتاج العالمي، وهي حصة تعادل حصة البلدان الثلاثة التالي لنا (اليابان - ألمانيا - فرنسا) مجتمعة، وموطن (٥٩) من أكبر مئة شركة في العالم، ومن بين أكبر (٥٠٠) شركة في العالم أدرجتها (الفايننشال تايمز) كانت هناك ٢١٩ شركة أمريكية، و ١٥٨ شركة أوروبية، و ٧٧ شركة يابانية"^(١). مما تقدم نجد ان الولايات المتحدة الأمريكية تتوافر على اقتصاد يعد ضخماً بجميع عناصره، الامر الذي يمهّد لها ارضية نحو بلوغ مرتبة الدول العظمى في العالم، والهيمنة على مرافق ومؤسسات الاقتصاد العالمي كافة بما يُحقّق مصالحها في الهيمنة والنفوذ.

المرتکز العسكري: يعد هذا المرتکز العامل الأول للهيمنة الأمريكية، إذ ولد المجتمع الأمريكي في رحم الحرب وقام عليها، حتى أصبحت بالنسبة له نزعة أصيلة تعطي الولايات المتحدة منذ نشأتها وحتى الآن قدراً كبيراً من الأهمية في تحقيق أهدافها، حتى أضحت تلك الوسيلة صاحبة الفضل فيما وصلت إليه الأمة الأمريكية من مكانة عالمية.

حيث تستند إلى قوة عسكرية تقليدية كبيرة تقدر بأكثر من (٣) مليون جندي ومزودة بأحدث المعدات، اذ لا تتميز بالعدد الهائل فحسب، وإنما إمكانياتها النوعية وقدرتها على الوصول إلى أهم المناطق في العالم وبسرعة كبيرة من خلال قواعدها وأساطيلها المنتشرة في عدد من المناطق الحيوية، فضلاً عن العلم والتكنولوجيا ومعها ترسانة نووية^(*) وقذائف عابرة للقارات، وما يميز قوة الولايات

(١) نقلاً عن: جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، ترجمة محمد توفيق، ط ١ (الرياض: العبيكان، ٢٠٠٣)، ص ٣١. ص ٨٢-٨٤.

(*) تمتلك الولايات المتحدة أكثر من ١٥ ألف رأس نووي، وتمتلك أكبر عدد من الغواصات النووية في العالم حوالي ٥٠٠ غواصة نووية، فضلاً عن امتلاكها حوالي ٥٠٠ قاذفة استراتيجية بعيدة المدى، كما أنها تمتلك

المتحدة النووية هو التطبيق العملي لها في الحرب العالمية الثانية مما أعطاها هبة وقوة ردع غير مسبوقة ولا تزال الى الوقت الحالي^(١).

ومع كل الفيض الديمقراطي الذي تشتهر به السياسة الامريكية والقاضي بأبعاد المؤسسة العسكرية عن التدخل او المباشرة في العمل السياسي اليومي، الا ان دور هذه المؤسسة يبقى ملحوظاً وملموساً واحياناً مرئياً، في تشكيل ورسم وتنفيذ السياسات الخارجية الامريكية؛ بحكم ما تمثله من ثقل في تراتيبية مؤسسات الدولة الامريكية وان كان المعلن هو: ان صنع القرار السياسي تتولاه مؤسسات سياسية منتخبة تستند الى تفويض شعبي، لذلك فإن المؤسسة العسكرية الامريكية وتحديداً بعد الحرب العالمية الثانية، كانت انشط واظهر المؤسسات في التعبير عن مضمون الخطاب السياسي، سواء في التعبير على شكل قواعد عسكرية دائمة، او غزوات واحتلالات للعديد من البلدان، او في قدرتها على تركيع الطرف المنافس للولايات المتحدة الامريكية، وكان النموذج لذلك، ما عاشه العالم تحت ظل مفهوم القطبية الثنائية، حيث تحملت هذه المؤسسة الجهد الاكبر للوصول الى الاحادية القطبية^(٢).

ومع مظهرية الاداء الديمقراطي الذي تتمتع به التجربة الامريكية، يبقى للمؤسسة العسكرية دور ريادي وملموس في اتجاهات العمل السياسي الخارجي، بل

برنامج حرب النجوم الذي يوفر لها حماية ضد أي هجوم نووي من الخارج، اما من ناحية الانفاق العسكري= فهي الاول عالمياً، فضلاً عن شركات السلاح الامريكية التي تعتبر المورد الاول لأغلب الحروب في العالم، حيث اصبحت صادرات الاسلحة وسيلة من وسائل الهيمنة على العالم واضعاف خصومها ومنافسيها، فضلاً عن القواعد العسكرية التي تمتلكها في اغلب دول العالم. مجموعة باحثين، قراءة تحليلية لمشروع جوزيف بايدن لتقسيم العراق، ط ٢ (دمشق: دار الصنوبر للطباعة، ٢٠١٢)، ص ١٢٠.

(١) سرمد عبد الستار امين، "نموذج القيادة الأمريكية للنظام العالمي الجديد: دراسة تحليلية"، دراسات دولية، العدد ٣٥ (بغداد: ٢٠٠٨)، ص ٩٩.

(٢) حميد حمد السعدون، الفوضى الامريكية، ط ١ (بغداد: دار ميزوبوتاميا، ٢٠١٣)، ص ١٦٢.

احياناً قد ينثني القرار السياسي لما ترغب به هذه المؤسسة الضخمة؛ لقدرةً على التأثير والتفاعل النشط مع كافة مؤسسات الدولة، ويكون الامر اكثر وضوحاً عندما يتعلق الخطاب الموجه من قبلها متعلق بالأمن القومي الأمريكي وبما يتوافق ومصالح الولايات المتحدة القومية العليا.

ويمكن ان نضيف مرتكز ثالث ومهم في الوقت الحاضر هو المرتكز التكنومعلوماتي، بوصفه عنصراً فاعلاً ومهماً جداً في القرن الواحد والعشرين، والذي امتلكت فيه الولايات المتحدة الأمريكية مركز الريادة حيث تقوم بالسيطرة على اغلب مفاصله، ومن خلال معرفة الأرقام إدراك حقيقة تمتع الولايات المتحدة الأمريكية بموقع الصدارة العالمية في امتلاك القدرات التقنية، ويقدر ما تخصصه الولايات المتحدة الأمريكية سنوياً للبحوث العلمية والتطور التقني على ما يزيد (٢٩٠) مليار دولار، فهي تمثل ٤٠% من النفقات العالمية للبحث والتطوير ولها ٥٠% من البراءات المودعة في العالم، وأن ٣٠% من المنشورات العلمية العالمية، وأكثر من نصف الأقمار الصناعية هي أمريكية، فقد تصدرت الولايات المتحدة الأمريكية دول العالم من حيث قيمة الإنفاق على البحث العلمي، والتي بلغت (179) مليار دولار، أي (2,39%) من الإنفاق العالمي حيث أضحت الولايات المتحدة الأمريكية فضلاً عن ذلك، لها السيادة المطلقة على شبكة المعلومات العالمية (الأنترنت)^(*)، إذ تملك (65%) من جملة الحاسبات المتصلة بالشبكة^(١).

(*) تُصدر الولايات المتحدة حوالي ٧٥% من البرامج التلفزيونية، وتستورد ٢% من المواد التعليمية، وبادرت شبكات الاذاعة والتلفزيون الأمريكي للسيطرة على شبكات بث محلية في العديد من الدول، كما فعلت شبكة ABC والتي اصبحت مالكة للشركات الاساسية للراديو والتلفزيون في ١١ بلداً في امريكا اللاتينية، مع ٣٩٩ دار عرض سينمائي، كما تصل برامج شبكة NBC الى ١٢٥ دولة خارج الولايات، اما شبكة ABC فتتحكم بحوالي ٦٠% من اجهزة التلفزيون المرسلة للخارج، فضلاً عن الانتشار الواسع للغة الانكليزية، فضلاً عن تطور وسائل الاعلام الأمريكي واسلوبها الجذاب التي ادى الى غزو كل بيت، وفلسفة الاعلام الأمريكي وتوظيفها في اطار الغزو الفكري المنظم والمشروع الأمريكي الكوني لبسط السيطرة والنفوذ بما = يُحقق اهداف

مما سبق يتبين لنا ان عناصر القوة الامريكية (الاقتصادية والعسكرية والتكنومعلوماتية) هي من الشمول بحيث لا يمكن ان تجاريها وتضاهيها اية قوة اخرى في العالم، مما رتب لاحقاً نتيجة واضحة وهي تمدد مصالح واهداف الولايات المتحدة الامريكية على المستوى العالمي.

علم الفيزياء يُعلمنا ان أي فراغ لا يجري اشغاله فإنه يسبب ارباكاً لمجمل عمليات المعادلة الفيزيائية، وهذا ماوعته الولايات المتحدة الامريكية، حيث امسكت باللحظة التاريخية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي التي مهدت لظهور امبراطورية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانساني، فهي اقوى دولة برية وبحرية وجوية، كما أن تحكمها بالبحار والمحيطات والفضاء امر طاع، فضلاً عن ما وفره العلم من مستحدثات هائلة وغير مطروقة مما اعطاها الارجحية من حكم الدنيا بقاراتها ومحيطاتها وفضائها الكوني وهو وضع غير مسبوق^(٢). يرافق ذلك ما تملكه من اقتصاد كبير ومؤثر في مجمل حركة الاقتصاد العالمي هذا غير ما توفر لها من قاعدة علمية وثقافية وتقنية واعلامية قادرة على إحداث التغيير الذي تريده، حتى أصبحت قوة عظمى على المسرح السياسي الدولي.

أن فرضية قيام نظام دولي جديد تتنافس فيه قوى متعددة امر مقبول، بعد أن اوغلت الولايات المتحدة في استخدام القوة العسكرية الى اداة لتسوية اوضاع سياسية حساسة، وبما يتقاطع ومفاهيم الديمقراطية وحقوق الانسان وعدم التدخل

الرأسمالية الامريكية. سلام خطيب الناصري، الاعلام والسياسة الخارجية الامريكية، ط ٢ (بيروت: جروس برس، ٢٠٠٨)، ص ١٥.

(١) فلاح مبارك بردان، "مكانة الهيمنة في التفكير الاستراتيجي الأمريكي"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النهدين، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٧٥.

(٢) محمد حسنين هيكل، الامبراطورية الامريكية، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣)، ص ٣١٣.

في الشؤون الداخلية^(١) ونرى أن استخدام القوة لتسوية المسائل السياسية وبهذا الشكل العنيف لا يؤدي الى سياسة مفيدة بل يحول رجل الدولة الذي يذهب لاستخدام القوة من سيد للسياسة الى عبد للأحداث غير المنظورة والخارجة عن السيطرة كما أن اي استسلام للإغراء العسكري من قبل القوى المتنفذة معناه الافتقار الى ممارسة التفكير العقلاني في ادارت الازمات.

لقد شخص الكثير من المهتمين بالشأن السياسي العام ان استمرارية هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي مسألة مثيرة لشكوك والسبب في ذلك جنوحها الى استخدام القوة المفرطة استناداً الى الاستراتيجية الوقائية بدلاً عن استراتيجية الاحتواء^(٢) رافق ذلك فشلهم في العراق، مما دفعها الى مستنقع كبير وعليه فأنا نؤشر ان التوسع الأمريكي او الاندفاع نحو الحروب الاستباقية ما هو الا مظهر من مظاهر الازمة والهروب الى الامام. إذ لا يتفق المفكر والكاتب الأمريكي اليساري الشهير (ناعوم تشوميسكي) مع الاعتقاد السائد بين قطاع واسع من السياسيين والرأي العام بأن الهيمنة الأمريكية على شؤون العالم أمر محسوم، وأنها إحدى المسلّمات المفروغ منها حالياً وإلى أجل غير مسمى. ويرى أنه لا يجب التعامل مع سيطرة الولايات المتحدة على العالم باعتبارها حقيقة كونية مطلقة بل واقع سياسي نسبي قابل للتغيير.

ومما تقدم ومن حقائق أخرى يخلص (كيندي) الرئيس الأمريكي السابق إلى التالي: الإجابة الوحيدة على السؤال، ما إذا كان في وسع الولايات المتحدة الأمريكية الحفاظ على وضعها الحالي العسكري والسياسي هو لا؛ لأنه ببساطة لا يمكن لأي مجتمع البقاء إلى ما لا نهاية على رأس جميع المجتمعات الأخرى، لأن ذلك

(١) Andrew J. Bacevich, The limit of power: The End of American Exceptionalism, Metropolitan (new York 2008), p, 83.

(٢) فنسان الغريب، مأزق الامبراطورية الأمريكية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨)، ص ٢٢١.

يعني ضمناً تجسيد أنماط معدلات النمو المتمايزة، والتقدم التكنولوجي، والتطورات العسكرية الموجودة منذ الأزل.

حيث أكدت الدراسات التي أجراها معهد تشتمهاوس البريطاني (المعهد الملكي للشؤون الدولية) "بأن الزعامة الأمريكية للعالم باتت موضع شك، حتى وإن قال الرئيس باراك أوباما في خطاب التنصيب "نحن مستعدون لأن نفوذ العالم مرة أخرى"، إضافة إلى ما أورده "ألفريد ماك كوي"، خبير المستقبلات في الجامعات الأمريكية إلى الجزم بأن "القرن الأمريكي الذي بشر به بشكل احتفائي جداً مع بداية الحرب العالمية الثانية، سيضمحل وينطفئ"، ويؤكد كذلك (جيرار شالين)، الكاتب الفرنسي المتخصص في العلاقات الدولية "إلى تراجع الهيمنة الأمريكية على العالم شرقاً وغرباً، وأنها بصدد فقدان الريادة العالمية"^(١).

السؤال الأكثر إلحاحاً في قلب هذا السجال هو عن موقع أميركا وما إذا كانت ستواصل المحافظة على موقعها القيادي والمؤثر في العالم، وتتواصل مع استمرار ذلك صيغة "الأحادية القطبية". في المقابل هناك أطروحات تقول إننا دخلنا بالفعل حقبة "التعددية القطبية" وإن دور الولايات المتحدة ونفوذها في تراجع مستمر، وهناك أيضاً من يقول إن العالم يتجه إلى شكل "لا قطبي" حيث تختفي صيغة وجود قوى كبرى تتحكم بمسيرة العالم مقابل بقية الدول، وتنشأ عوضاً عن ذلك شريحة واسعة من اللاعبين الدوليين، دولاً وغير دول، ذات قوة ونفوذ متقاربين.

فضلاً عن ذلك، أن المصالح الفردية والجماعية، تحتل أولوية في الثقافة الأمريكية، بحكم النهج البراغماتي السائد والمتحكم في عموم الأنشطة، فالمصالح الأمريكية لها الأولوية المطلقة في نشاط السياسة الخارجية، حتى لو أدى ذلك إلى

(١) نقلاً عن: مهنة أمين، الزعامة الأمريكية للعالم نحو التراجع والانحيار، شبكة النبأ، (٣١-٨-٢٠١٧) متاح:

<http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/12340>

مصادمة الولايات المتحدة مع العالم، فرعاية المصالح وتنميتها واثرائها هو المطلوب وحتى لو تعارض ذلك مع الثوابت الأمريكية، وإدراكاً بأولوية المصالح لدى الولايات المتحدة فإن بمقدورها على تغيير اقنعتها بسرعة، بحيث تتحالف اليوم مع عدو الأمس، وبالعكس تتصادم في يوم آخر مع صديق الأمس، لذلك ان المسألة تتوقف على ادراك النخبة الحاكمة للمصالح الأمريكية في لحظة تاريخية محددة^(١).

أن استعمال القوة لتحقيق هذه الهيمنة من قبل صانع القرار الأمريكي لم يأت من فراغ وإنما توجد مجموعة من المرجعيات التي طبعت الشخصية الأمريكية وأثرت على سلوكها إذ أصبح استعمال القوة امراً طبيعياً، فعقيدتهم جعلت من الشعب الأمريكي شعباً مختاراً والأرض الأمريكية أرضاً موعودة وأبنائها حاملين لرسالة تبشيرية ومسؤولين عن بناء مملكة الرب العظيمة، كل ذلك أتاح لهم عمل أي شيء بغية تحقيق مشيئة الله.

بالتالي فإن اشكال الغرور والاستعلاء التي يؤمن بها ويمارسها الأمريكيون، تجعلهم في حالة صدام دائم مع العالم أن لديهم قناعات ثابتة تؤمن بـ "التدبير الإلهي للكون" وهو مفهوم شاع منذ البدايات الأولى للاباء المؤسسين للدولة، اذ يجدون أن الله قد هبهم الى صياغة الكون وتصحيحة ولذلك اطلقوا على أنفسهم بأنهم "الشعب المختار والمكلف بإنجاز رسالة عالمية"، ويرون أن الله وضع لأمریکا مهمة مقدسة خاصة بها بمعنى أن هناك تصميم إلهي في صياغة الكون وأن الولايات المتحدة وفق هذه الصياغة مكلفة برسالة ربانية لأن تكون قائدة لهذا العالم المليئ

(١) حميد حمد السعدون، السلوك الخارجي الأمريكي ومركزاته الثقافية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

بالشروع، وانهم عندما يسعون وراء الثروة انما يسعون لمرضاة الله لاخرتهم وأن لهم رسالة تبشيرية لنشر هذه القيم خارج حدود دولتهم^(١).

وبناءً على ما سبق يتضح أن استعمال القوة كان وما يزال مدعوماً ومشروعاً دينياً، بعده شعباً مختاراً يحمل رسالة تبشيرية وجب عليه إيصالها إلى العالم بشتى الطرق حتى وان كانت بالقوة، التي أصبحت مقبولة داخلياً ومفضلة ثقافياً، وموظفة ومقننة سياسياً من أجل تحقيق هدف أسمى بنظر المجتمع الأمريكي وهو نشر رسالته التي لن تتم إلا بالهيمنة العالمية.

ختاماً نستطيع القول أن الولايات المتحدة الامريكية التي تمتلك من عناصر القوة الشاملة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والثقافية، فأنها حتى لو تعرضت للضعف او المنافسة في احد الميادين، فأن سيطرتها وتفردتها في مجالات متعددة اخرى يمكن ان يعوض عليها اي تراجع ظرفي، وبما ان القوة نسبية وتُقاس بالمقارنة مع قوة الآخرين، وبلاستناد الى كل المقاربات القائمة على معايير القوة واسسها بين الولايات المتحدة ومنافسيها، لذلك نجد الولايات المتحدة لاتزال في المراكز المتقدمة والاقوى مقارنة بالقوى الاخرى، الامر الذي يترتب عليه استمرارية الدور المؤثر للولايات المتحدة على الصعيد الدولي في الوقت الحاضر والمستقبل القريب، وعلى الاقل للنصف الاول من القرن الحالي.

ختاماً لهذا المشهد نقول ان حقائق العصر لا تخفى على كل مهتم بالشأن العام فالاستناد الى امكانيات القوة لا يدوم الزخم لأي متنفذ، لكونها امكانيات متغيرة وسريعة التبدل، كما ان التصورات المسبقة عن الازمات والاحداث الحاصلة تتقاطع مع الحقائق المعبرة عن نفسها على الارض، وهي احدى نقاط الضعف

(١) عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية- دراسة في الافكار والعقائد، عرض وتحليل: محمد عبد المجيد حسون، العددان ٣٨-٣٩ (كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد: ٢٠١٠)، ص٤٤٦.

والقتل للأباطرة وامبراطورياتهم بسبب الغرور والتسلط والاستهانة بالآخرين، وهذا ما دأبت الولايات المتحدة على التعامل به وفي كل اجراءاتها وانشطتها في حقل السياسة الدولية، متناسية بذلك القاعدة الذهبية، التي تقول "دوام الحال من المحال"، وما حصل منذ ان انفردت الولايات المتحدة بمسرح السياسة الدولية، فقد انطبعت مسالكه واشكال التعامل الحاصلة فيه، بالعنف والقسوة والغرور المطلق وهي مشاهد اليمه وغير انسانية، لكنها ستسرع في قصر زمن الانفراد الدولي وشكل الانفلات والفوضى الحاصلة، وما نلاحظه من مؤشرات ودلائل تؤكد هذه الحقيقة، حتى وان تغافلت الولايات المتحدة الامريكية، عن التعامل معها.

الخاتمة

١- أستطاع البيوريتان ان يرسبوا فهماً خاصاً لدى المهاجرين الأوائل مفاده: (ان الارض التي استوطنوها هي منحة سماوية وقد اختارهم الله لأنهم غامروا بحياتهم وركبوا الصعاب)، لذلك رأينا كيف لعبت المعتقدات الدينية الكالفينية دوراً كبيراً في ترسيخ فكرة استعمال القوة لتحقيق الهيمنة، فوفقاً لمعتقداتهم ان الشعب الامريكي هو شعب مختار والارض الامريكية ارض موعودة، وهناك وعداً الهياً بسيادتهم العالمية لنشر الرسالة المكلفين بتبليغها.

٢- "أن اللادينية في التجربة الامريكية لم تأخذ شكل الصراع ضد الكنيسة البروتستانتية بل ان من حمل قيم الديمقراطية والحقوق المتعلقة بالإنسان قيادات شديده التدين والارتباط بالكنيسة، لذلك فإن الدستور كان نصه علمانياً بدقة واعتقدوا الذين صاغوه ان الحكومة التي انشأوها لا تستطيع الاستمرار الا اذا كانت راسخة في الدين، وبهذه الخلفية ظهرت الولايات المتحدة.

٣- أن فكرة هرجمدون تحتل مكاناً مهماً في الفكر الاصولي المسيحي، وان الايمان بهذه الفكرة التي تقوم على (الصراع) يعني تعطيل مساعي السلام العالمي، وهذا ما يدفع الامور نحو الاضطراب والعداء، ولاحظنا ان هذه العقيدة مترسخة في ذهن

الكثير من الرؤساء والقساوسة فضلاً عن إن جزءاً كبيراً من الشعب الأمريكي يؤمن بهذه النظرية، وخطورتها تكمن على أنها قد تسربت الى بعض الدول الاوربية ومحاولة نشرها في الكثير من الدول العربية والاسلامية، مما ادى الى ظهور جماعات دينية متطرفة تؤمن بهذه الفكرة وتؤمن بالعنف الى درجة كبيرة.

٤- على الرغم من امتلاك الولايات المتحدة لعناصر القوة الشاملة (العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية)، لكن ان حقائق العصر لا تحفى على كل مهتم، فالاستناد الى امكانيات القوة لا يديم الزخم لأي متنفذ، لكونها امكانيات متغيرة وسريعة التبدل، وان الغرور والتسلط والاستهانة بالآخرين، هي احدى نقاط الضعف والقتل للأباطرة وإمبراطوراتهم وهذا ما عملت به الولايات المتحدة الامريكية في كل اجراءاتها وانشطتها في السياسة الدولية، وهذا ما سيسرع في قصر زمن الانفراد الدولي وشكل الانفلات والفوضى الحاصلة، وما نلاحظه من مؤشرات ودلائل تؤكد هذه الحقيقة، حتى وان تغافلت الولايات المتحدة الامريكية عن التعامل معها.

٦- تجمع الولايات المتحدة بين ما هو ديني ولا ديني، وهذا الجمع بين النقيضين (الديني واللا ديني) أطلقوا عليه بـ(الدين المدني) الدين الأمريكي، بالتالي يمكننا القول ان الولايات المتحدة هي أمة علمانية يسكنها أناس متدينون، وقد وجدوا لهم موطناً في هذه الامة العلمانية.

بالتالي فإن مستقبل الترابط بين الاتجاهين الديني واللا ديني موجود وبشكل كبير وخصوصاً اذا علمنا ان هذا الترابط جزء من عقيدتهم الدينية، التي ترسم مستقبلهم بالطريقة التي يؤمنون بها.

قائمة المصادر

اولاً: الكتب العربية

١. ادوارد ب دجيريجيان، الخطر والفرصة - رحلة سفير امريكي في الشرق الاوسط، ترجمة السيد عليوة ، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي (٢٠٠٩).
٢. اكرم لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، (١٩٩٣).
٣. برنارد لويس، مستقبل الشرق الاوسط، تنبؤات برنارد لويس، ط ١ (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، (٢٠٠٠).
٤. بشار شريطح، النبوءة التي تحكم امريكا الاصولية الانجيلية والمعركة الكبرى، بحث مقدم الى اللجنة العالمية لنصرة خاتم الانبياء في مؤتمرها الاول، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢.
٥. جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، ط ١ (الرياض: العبيكان للنشر، (٢٠٠٧).
٦. جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية ، ترجمة محمد توفيق ، ط ١ (الرياض: العبيكان، (٢٠٠٣).
٧. حسين حافظ العكيلي، المرتكزات والتحويلات الاساسية للاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط، سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، العدد ١١٠ (بغداد: تشرين اول (٢٠١١).
٨. حميد حمد السعدون ، الفوضى الامريكية ، ط ١ (بغداد: دار ميزوبوتاميا، (٢٠١٣).
٩. حميد حمد السعدون، الحوار الحضاري بين الأصولية الدينية وسياسة الهيمنة الأمريكية، ط ١ (بغداد: مركز العراق للدراسات، مطبعة الساقى، (٢٠١٠)ز

١٠. دينا شريف، طفرة التطرف المسيحي: امريكا الى اقصى اليمين، صحيفة الاخبار المصرية، العدد (١٨٥٥)، (القاهرة: ٦/٦/٢٠٠٩)،
١١. رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط١ (القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠١)
١٢. زيغنيو بريجنسكي، الاختيار- السيطرة على العالم ام قيادة العالم (بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤).
١٣. سرمد عبد الستار امين، "نموذج القيادة الأمريكية للنظام العالمي الجديد: دراسة تحليلية"، دراسات دولية، العدد ٣٥ (بغداد: ٢٠٠٨).
١٤. سلام خطيب الناصري، الاعلام والسياسة الخارجية الامريكية، ط٢ (بيروت: جروس برس، ٢٠٠٨).
١٥. السيد ياسين، الحضارات بين الحوار والصراع والتحالف، جريدة الاصلاح، العدد ٣٩٦ الصادر في ١٧ آيار، (مصر: ٢٠١٠).
١٦. شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة (بيروت: دار رياض الرئيس للكتب، ١٩٩٧)، ص ١١٨.
١٧. صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط٢ (القاهرة: دار سطور للنشر، ١٩٩٨)
١٨. عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية- دراسة في الافكار والعقائد، عرض وتحليل: محمد عبد المجيد حسون، العددان ٣٨-٣٩ (كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد: ٢٠١٠).
١٩. غريس هالسل، النبوة والسياسة، ط٤، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٠. فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ والانسان الاخير، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، (بيروت: مركز الانماء العربي، ١٩٩٣)
٢١. فلاح مبارك بردان، "مكانة الهيمنة في التفكير الاستراتيجي الأمريكي"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٩.
٢٢. فنان الغريب، مأزق الامبراطورية الامريكية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨).
٢٣. مثنى فائق العبيدي، البعد الديني في الحرب الامريكية لاحتلال العراق، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد ٤، السنة ١ (كلية القانون: ٢٠٠٩).
٢٤. مجموعة باحثين، قراءة تحليلية لمشروع جوزيف بايدن لتقسيم العراق، ط ٢ (دمشق: دار الصنوبر للطباعة، ٢٠١٢).
٢٥. محمد السماك، ، الدين في القرار الامريكي (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٣)
٢٦. محمد السماك، الاستغلال الديني في الصراع السياسي، ط ١ (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٠).
٢٧. محمد بن اسماعيل المقدم، خدعة هرمجدون (الاسكندرية: دار المقدس، ٢٠٠٣).
٢٨. محمد حسنين هيكل، الامبراطورية الامريكية، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣).
٢٩. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والاسلام، ط ٢ (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤).
٣٠. منصور عبد الحكيم، من يحكم العالم سراً؟ اصابع خفية تقود العالم، ج ١، (بيروت: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥).

٣١. منير العكش، تلمود العم سام - الاساطير العبرية التي تأسست عليه امريكا، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٤).
٣٢. نجيب الخنيزي، الاصولية الامريكية- الجذور والمكونات، صحيفة عكاظ السعودية، العدد (١٩٣٨)، (الرياض: أكتوبر ٢٠٠٦).
٣٣. نجيب الخنيزي، الاصولية الامريكية- التداخل بين الايديولوجي والسياسي، صحيفة عكاظ السعودية، العدد (١٩٤١)، (الرياض: أكتوبر ٢٠٠٦).
٣٤. نعم تشومسكي وجبلير الاشقر، السلطان الخطير للسياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط، ترجمة ربيع وهبة، مراجعة امل حوا (بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٧).
٣٥. هشام آل قطيط، هرمجدون والصهيونية المسيحية، ط ١ (بيروت: دار الحبة البيضاء، ٢٠٠٣).
٣٦. هنري كيسنجر، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ط ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣).
٣٧. يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني، ط ٤، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥).
٣٨. يوسف الحسن، جذور الانحياز، دراسة في تأثير الاصولية المسيحية في السياسة الامريكية تجاه القضية الفلسطينية، ط ١ (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢).

ثانياً: الكتب الانكليزية

1. Andrew J. Bacevich, The limit of power: The End of American Exceptionalism, Metropolitan (New York 2008).
2. Appleby Scott & Marty Martin, Fundamentalism, Foreign Policy, magazine, Issue 128 U.S.A, Jan/Feb2002.

3. Bernard lewis, the root of Muslim rage, Atlantic monthly, (1990: 266), p60.
- i. carroll Quigley, *the evolution of civilizations-an introduction to historical analysis* (New York: macmillan,1991).
4. dana Millbank, conservatives dispute bush's portrayal of Islam as peaceful Washingtonpost:30november, 2002) .
5. Gershom Scholem, *The Messianic Idea in Judaism and other Essays on Jewish spirituality*, (New York, U.S.A, 1991) .
6. Hassan Haddad and Donald Wanger, *All in the name of bible*, AMANA Book: st. mapleaf press, 1986.
7. Jimmy Carter, *The Blood of Abraham*, (London, Sidgwick& Jackson, 1985).
8. John L. Kater, *Christian on the Right* (New York: seabury press, 1982), .
9. Robert O. Keohane, *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy* (New Jersey: Princeton University Press, 1984).
10. Simon& Schuster, *avenue of the Americas*, (New York: Rockefeller center 2001), p120.
11. *The Annual Review of Sociology*, Rice (University, Houston, U.S.A, April 5, 2006).

ثالثاً: الانترنت

<http://annabaa.org/arabic/authorsarticles/12340>

<http://www.j.ordanzed.com/jov/index>

<http://www.kaliwid.jeeran.com/index.htm>